أشهر الديانات القديمة

في مصر الفرعونية

في إمبراطورية فارس

في القارة الهندية

في بلاد اليونان



مكتبة معروف

أشهر الديانات في التاريخ

لطفي وحيد





مكتبة معروف

الإسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٤٠٣٧٧٩٢ ٠٢٢

ص . ب ٢٧٠ الإسكندرية E- mail : maarouf 2004 @ hotmail . com

مقدمة

حاجة الإنسان البدائى
للأديان مثل حاجته للطعام والشراب

حينما خلق الله تبارك وتعالى آدم (أبو البشرية) عليه السلام من تراب الأرض المختلفة الألوان .. منه الأبيض والأسمر والأصفر والبنى والأحمر والأسود وخلطه بماء الجنة ثم نفخ فيه من روحه وقال له « كن .. فيكون » ؟ .. وسبحانه وتعالى القادر على كل شئ ..

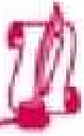
خلق الله تبارك وتعالى آدم (عليه السلام) من تراب الأرض المختلف الألوان لحكمة عليا لايعلمها إلا هو .. وحينما أمر أن يهبط من السماء ليسكن الأرض هو وزوجه ليعمر الأرض ويملأها بذريته من البشر .. المتعددّى الألوان واللغات المختلفى الأشكال والسمات .

كان يهدف من هذا (فى نظرى) أن يكون آدم (عليه السلام) آبا البشرية جمعاء بجميع ألوانها ولغاتها المتعدّدة .. والتى انحدرت من صلبه ، ومن رحم أمنا العظيمة (حواء) عليها السلام .

وقد خلق الله تبارك وتعالى آدم على الفطرة كما جاء فى قرآنه الكريم :

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (٣٠)

﴿ سورة الروم ﴾



والذى أنزله على نبيه المصطفى محمد صلوات ربى وسلامه عليه بعد آلاف السنين من خلق أبينا آدم .. أبو البشرية جمعاء .. وليخبرنا الله عن طريق نبيه المنزّه .. بحكايات الخلق والكون من حولنا .. وقصّة وجودنا على ظهر الأرض .. ونشأتنا الأولى عليها .

ونتيجة لتكاثر الذرية من أبناء آدم (عليه السلام) وضيق رقعة الأرض التى كانوا عليها.. وقلة الرزق المتوافر فيها.. كان لابد لبعض أبناء آدم من الرجال الجسورين والشباب المحب للمغامرة والاستكشاف .. أن ينزحوا بعيداً عن الأرض المتخمة بأناسها.. بحثاً عن أماكن رزق أفضل .. وخيرات أوفر .

وهكذا بدأت بعض ذريةٌ من أبنائه فى السكنى والاستيطان على سطح الأرض الجديدة.. بعد إعمارها.. وزراعتها، ومع الأيام والشهور .. والسنين أصبحت الأماكن التى نزح إليها أبناء آدم .. بلاداً .. وأوطاناً .. خاصة بهم ، وسرعان ما أداروا فيها دفّة الحياة .. واختاروا كبيراً منهم ليحكمهم كما عملهم جدهم العظيم آدم (عليه السلام) .. وكان هذا هو الحال فى الأراضى الأخرى .. البعيدة والمجاورة التى سكنت واستوطنت .

ومن هنا كانت بداية نشأة الشعوب واللغات .. والأجناس .. حيث أطلق سكان كل أرض عليها اسماً من صنع خيالهم وبما يتفق وبيئتهم.. اتفقوا عليه فيما بينهم واستشاروا كبيرهم ، ومن هنا أيضاً .. أطلقوا على أنفسهم أسماء .. وشعوباً ليتعارفوا فيما بينهم .. واستنّوا لأنفسهم لغة خاصة بهم .. للتخاطب بها فيما بينهم .. ضماناً لاستقلاليتهم عن الآخرين .. من الجدود والآباء ..!

وعاش الأبناء والذريّة من صلب آدم (عليه السلام) على الأرض الجديدة ، كل تبعاً لظروف البيئة والمكان ..، حيث أن ظروف البيئة لها

دور فعال فى تكوين سلوكيات القبائل وتطوير حياتهم .. لاختلاف البيئة الصحراوية الجدباء .. واختلاف أهلها عن البيئة الزراعية أو شبه الزراعية وأهلها .. وبالتالى اختلفت الطبائع والتقاليد .. والسلوكيات لسكان البيئات الساحلية .. سواء تلك إلى تطل منها على البحر.. أو النهر .. كل له سلوكياته الخاصة وأنماط معيشته .

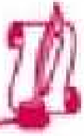
ولما أزدادت الخيرات فى بعض البلاد .. لدى بعض الشعوب الوفيرة الرزق .. الغنية التربة .. والثروة الحيوانية .. بدأ الجشع والطمع وحب الذات وإيثار النفس عن الآخرين .. يدخل شغاف النفس البشرية .. التى خلقها الله تبارك وتعالى على الفطرة السمحاء ، نتيجة للطمع والأنانية .. أصبح هناك أغنياء .. وفقراء .. وأقوياء وضعفاء .. هذا يستغل هذا .. وذاك يستضعف ذاك .. وبدأ قانون الغاب يسود تلك المناطق .. ويحكم هذه الشعوب .

ولأن الخالق تبارك وتعالى .. الذى خلق أبانا آدم (عليه السلام) لهدف سامى، ونبيل ألا وهو تعمير الكون بذريته ، ونشر دين التوحيد لله الواحد القهار، الذى يسمع ويرى مايحدث من عباده ومايقولون ومايفعلون .. ولأن الله تبارك وتعالى الذى خلق الإنسان ويعلم كل خباياه وسرائره .. ويعلم صالحه ونقاط ضعفه حيث يقول فى كتابه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾

﴿ سورة ق ﴾

ورحمة من ربك عزيزى القارئ .. بالإنسان الضعيف .. الخطّاء .. كان لابد من تدخل العناية الإلهية لإنقاذ مخلوقاته من البشر..



من الضلال والفساد.. والانحراف والظلم فيما بينهم والرجوع لشريعة الله السمحاء .. والعمل بها لصالحهم وصالح أبنائهم وذرّياتهم من بعد ..!

هنا جاءت مهمّة الرسل والديانات .. للشعوب الضالة .. حتى لاتزداد ضلالة وسفكاً للدماء .. فيحل عليها غضب الله ونقمته .. وتكون حينئذ نهايتها .. ، ولأن الله عادل .. ورحيم واسمه الرحمن الرحيم .. الحكم العادل .. فكيف يظلم عباده ؟..

الظالمين .. الضالين .،، وهو الرحيم بهم .. العطوف عليهم .. العليم بضعفهم وحاجتهم القصوى إليه .. ؟!

وهكذا بعث الله الرسل والأنبياء .. وأنزل عليهم كتبه السماوية المقدسة.. ليكونوا حملة مشاعل النور والعلم .. لصالح أقوامهم .. وصالح دنياهم وأخراهم ، وبدأت الديانات السماوية . تنتشر بين الشعوب وتؤدى مفعولها .. إبتداء من الفطرة التى خلق الله الناس عليها واعتباراً من عهد آدم .. ثم شيت وأدريس ونوح عليهم السلام .. والتوحيد لله تبارك وتعالى فى عهد أبى الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) خليل الله ثم الديانة اليهودية من عهد داوود (عليه السلام) وابنه من بعده سليمان الحكيم .. (عليه السلام) حيث تنزّلت خلال تلك الحقبة من الزمان .. سلسلة من الكتب السماوية المقدسة كالزبور.. والتوراة .. وصحائف موسى والانجيل .. ثم بدأت رسالة الديانة المسيحية فيما بعد على يد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) وانتهت بخاتم الأديان على الأرض .. ألا وهو الدين الإسلامى .. الذى جاء به القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين .. سيدنا محمد صلوات ربى وسلامة عليه .

ومع مرور الأيام .. والسنين .. بعد وفاة الأنبياء والرسل .. كان

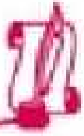
يظهر من وقت لآخر.. نوع من البشر.. جبارين .. يحكمون الناس بالحديد والنار ويستأثرون بكل خيرات البلاد لأنفسهم .. ولذويهم .. تاركين شعوبهم .. ترتع فى الفقر .. وتعانى من الجوع والجفاف .. ولامن معين .

ولأن الذى كان يجرؤ على رفع صوته مطالباً بحقه فى الحياة ومن نصيبه ولو بجزء بسيط من خيرات البلاد.. كان مصيره السحل .. أو الشنق .. أو التمثيل بجثته فى ميادين البلاد.. ليكون عبرة لباقى أبناء الشعب .. إذا مافكروا ولو للحظة فى أن .. يطالبوا بأدنى حقوق الحياة الكريمة كبشر يعيشون على سطح الأرض يكدون ويتعبون .. ويزرعون .. ويحصدون .. وغيرهم يحصل على خيراتهم ويجنى ثمار حصادهم فى خزائنه التى لاتكتفى أبداً .. وتطلب المزيد على حساب أبناء الشعوب الجياع الضعاف .. المساكين الذين لاحول لهم ولاقوة ؟

من هنا تكونت عدة طبقات من البشر .. من نوعيات غريبة .. وعجيبة .. نوع يسبح السلطة وأصحابها ويمجدهم ابتغاء الرضا ونيل الخيرات .. والعيش فى سلام ، ونوع فضّل السلامة من الجوع .. على تأليه الحاكم المستبد .. الطاغية والجبار الذى لايحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى بين العباد .

ونوع آخر يتمتع بقسط وافر من الكرامة والإنسانية .. رفض هذا وذاك وقبع فى ركن بعيد فى انتظار فرج الله القريب .. !، آملين فى الله وفى عونه لهم ونصرته إياهم طالما كانوا على الحق ..!

من هنا ازدادت حاجة الإنسان فى تلك الحقبة من الزمان لدين ينتشله من الظلم والفساد .. وينشر العدل بين جنبات النفوس .، وأصبحت حاجة الإنسان للأديان شديدة .. مثل حاجته الملحة



للطعام والشراب .

وخلاصاً للنفوس البشرية من هذا الجحيم الذى يطويها وأملاً فى غد مشرق قريب .. يزيح عنهم الهم والغم .. ويريحهم من نيران الاستعباد والذلّ ، لهذا فقد خرج بعض الناس بتعاليم جديدة وغريبة .. فى صورة دين جديد لخلاصهم ..؟ ونسجوه طبقاً لظروفهم ومعيشتهم ليتلاءم معها .

ولأن هذه التعاليم .. التى حيكت فى قالب فطرى يشيد بمطالب وإنسانية الإنسان واحترامها وحسن معاملته حسبما أمر الخالق تبارك وتعالى .. أياً كان هذا الخالق .. ومهما كان اسمه ...؟ حسبما كانوا يطلقون عليه فى أماكن عديدة ولدى الشعوب المختلفة البدائية منها .. وذات المستوى المعقول .. من الرقى والعلم ، والمعرفة .

وهكذا التف الناس حولهم .. وحول صاحب العقيدة والديانة الجديدة مرحبين مهللين .. مستمسكين بها آملين فى خلاصهم من الظلم والطغيان وإراحة نفوسهم المعذبة من جراء الاستبداد والظلم على أيدى جبابرة الشعوب وجزاريها وسفاكى دمائهم . ولأن معظم المستضعفين من الشعوب هم الفقراء والبسطاء ، فقد كانوا هم اللبنة الأولى التى التفت حول أصحاب الديانات القديمة .. الجديدة آنذاك بالنسبة إليهم والتى رأت فيها .. الشعوب المستضعفة .. خلاصها .

ولأن الإنسان الأول خلق على الفطرة .. فقد كان يحسّ فى داخله أن هناك رباً وخالقاً .. يراقب ويحاسب ، يراقب الأفعال على ظهر هذه الدنيا .. ويحاسب الإنسان عليها فى الآخرة .. حيث الخلود الأبدى ..!

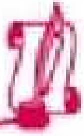
ومن هذا المنطق وذلك الاحساس الداخلى بالفطرة أحس الإنسان

أنه فى حاجة إلى سلوكيات تحكمه وناموس يحميه ويهديه .. حتى لاتذروه الرياح والغضب .. وتدمره أعاصير العنف ، فيقتل هذا وذاك دون أن يحاسب .. ودون أن يُعاقب على أفعاله وبالتالى ماذا سيفعل أهل القتيل ؟ ومن ذا الذى سيأخذ لهم حقهم من الظالم الذى سفك دماء وليهم .. وربهم .. وحاميهم ؟!

من هنا قويت رغبة الإنسان .. كبراؤهم وعقلاؤهم وشيوخهم .. قويت لديهم الرغبة الملحة فى إستتنان قوانين أو نظم تحدد سلوكياتهم .. ويعيشون من خلالها .. ونتيجة لعدم وجود الأنبياء والرسل على سطح الأرض فى تلك الفترات، أما لعدم خلقهم حتى تاريخه .. أو لقبض أرواحهم وصعودها للسماء بعد انتهاء الأجل والرسالة المكلفين بها من قبل الرب تبارك وتعالى.. كان لابد من اصطناع دين أو ماشابه ذلك يكون خاصاً بهم يصيغونه حسب ظروفهم .. وإمكانياتهم .. وطرق معيشتهم حتى لايزهدونه أو يحيدون عنه .. لأنه لايتوائم مع ظروف معيشتهم .

ونتيجة لبطش زعماء القبائل بالضعفاء من أبناء القبائل واغتصاب نسائهم عنوة وسبى بناتهم من أجل نزواتهم التى لاحدود لها .. ووجود صفوة القوم .. حول الزعيم أو الحاكم يهللون له ويمجدونه .. ابتغاء مرضاته ، ولأن الضعفاء والبسطاء من القوم لم يكن لهم معين أونصير يأخذ لهم بحقهم أو يقف معهم ضد المعتدى .. الغاصب الذى يستبيح حرمات كل شئ .. خيرات زروعهم وثمرات أراضيهم ونتاج مواشيهم وإبلهم أولاً بأول .. ولايترك لهم شيئاً إلا مايخفونه عنه ، بعيداً عن الأنظار .. من أجل القوت الضرورى لهم وللصغار ؟؟

وهكذا بدأ الصفوة يمجدون الزعيم .. أو الحاكم ويضيفون عليه ألقاباً وأسماء ويشيعون عنه بين الناس أنه (المانح .. المانع .. الذى



يحيى ويميت بإشارة من أصبعه لسيّافه أو جلاده) .. ثم سرعان ماتحول التملّق والنفاق للزعيم .. أو الحاكم إلي نوع من العبودية والتأليه .. وهكذا صنعوا من زعيمهم آلهاً .. ورباً .

وسرعان ما حاكوا النظم والسلوكيات التى ترضيه وتقربهم منه لنيل بركاته وخيراته فأصبحت ديناً خاصاً بهم يقربهم من الربّ .. المعبود .. الاله .. الزعيم الحاكم آنذاك أما الضعفاء من القوم فكانوا يلوذون بالغابات هرباً من بطش رجال الزعيم أو الحاكم وجنوده وحراسه ويحتمون بالأشجار الضخمة فيجعلون منها ملاذاً لهم ومأوى ينامون فوق أغصانها ويجلسون تحت ظلها ويعيشون فى كنفها .

ومع الأيام أحسّ الضعفاء من القوم أن الشجرة ممكن أن تحميهم من بطش زبانية الحاكم الآله فأجلّوها وعبدوها .. وأضافوا عليها أسماء عديدة تبركاً وترضية .

وهكذا تعددّت الأديان فى الأزمنة القديمة وتعددت بالتالى الآلهة وتنوعت واختلفت طقوسهم من مكان إلى مكان .. وبين قبيلة وأخرى .. وشعب وآخر.. تبعاً للمكان .. والمكان .. وبعده أو قربه من العمران .. حيث الأنهار والبحار وخيراتها ، أو الصحراء والجبال وقسوتها .. وهلاكها .

وهكذا تنوعت الأديان وتعددت كما تعددت الآلهة والمعبود ، فنجد من يعبد جبلاً أشمّ .. ومن يعبد الحيوانات المفترسة .. أو الأليفة ، ومنهم من يعبد الأنهار والبحار .. أما سكان الصحارى من القبائل فلم يجدوا لهم هادياً ولامرشداً فى الطريق .. إلا النجوم فعبدوها وتنوعت عبادتهم للنجوم وتعددت فمنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد النجوم .. ومنهم من يعبد الشمس أو القمر أو كليهما معاً وحاكوا من حولها الأساطير والخرافات التى تشيد بعظمة هذه

الكواكب الآلهة .

ومن لم يجد لا هذا ولاذاك .. صنع لنفسه تمثالاً يرمز لعزيز عليه مات من زمن أو ملك عظيم .. اندثر فى التراب ويطلب حمايته ، أو جبّار فى الأرض يتمنى رضاه .. ومن رحمة الله تعالى على مخلوقاته الضعيفة من البشر أن أنزل عليهم الأديان السماوية بين الأزمان والقرون لتكون لهم هدى ومناراً وحماية لهم من الضياع .. وحفظاً لهم ووقاية من الانحراف ودرءا للآثار ولخلاصهم من براثن الشرك والعبودية لغير الله عز وجل .. ومن عمل بها نال الخير والفلاح .. ومن أعرض عنها كان جزاؤه الويل والهلاك .

وهكذا عزيزى القارئ .. كانت هذه قصة الأديان المتعددة وسطور حياتها والتى ظهر منها جلياً مدى حاجة الإنسان البدائى للدين ليكون ملاذاً له من جبروت الطغاة وفساد الحكم والحكّام وسطوة الجبارين وتحكمهم فى أرزاق العباد البسطاء من عامة الشعب .. المستضعفة ، والتى وجدت ضالتها فى البحث عن الأديان أو صنعها إن لم تجدها والتى أصبحت بالنسبة إليها مطلوبة بشدّة .. مثل حاجتها إلى الطعام والشراب .

دعنا إذن نغوص سوياً مع الأديان القديمة .. فى شتى البقاع والأزمان ولنسبح مع أشهر الديانات التى نشأت وولدت وترعرعت فى تلك الأحقاب .. وأصحابها الذين ابتدعوها .. وصنعوها بإيمان داخلى خالص .. بعد قبض الأنبياء والرسل فى هذه الأزمنة السحيقة .. أو خلال تلك الحقب من عمر الزمن ، وخلو الأرض منهم جميعاً آنذاك .

هيّا بنا إذن عزيزى القارئ .. نتصفح سطور أشهر الديانات القديمة والتى ظهرت على سطح الكرة الأرضية .. فى الأزمنة



السحيقة ، قبل أن نولد نحن بعدة آلاف من السنين .

(لطفى وحيد)

سيدى بشر ـ الإسكندرية

٨ يوليو ١٩٩٣

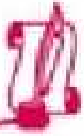
الفصل الأول

كيف نشأت الديانات البدائية .. عبر الأزمان ؟

كان الإنسان الأول فى مراحل حياته الأولى على الأرض يحس بالخوف من كل شئ .. وخاصة إذا كان ضخماً .. ومرتفعاً مثل الجبال الشاهقة والأشجار المرتفعة الضخمة .. العالية .. كما كان يخشى الأماكن المجهولة والمغارات والكهوف التى كان يعتقد أن الحيوانات المفترسة تسكنها .. وأنه غير مسموح له بالاقتراب منها إلا لفئة معينة فى القبيلة .. ألا وهم كبار السن ذوو الحنكة والتجربة ، والكهّان والسحرة والزعماء .

وهكذا كانت نظرة الإنسان البدائى للمكان من حوله يحوطها الاحترام والقدسية مع نوع من الخوف للمكان .. أو الجبل والأشجار العالية ، وأيضاً للأنهار والبحار ، وبخاصة البحار المفتوحة حيث كان يعتقد أن هذه البحار لانهاية لها ، وأنه من ركبها بقاربه ، فلا عَودٌ له ؟!

وقد استغل الكهّان والسحرة قدرتهم على الإقناع وغفلة الإنسان البدائى وخوفه من المجهول فأوزعوا فى نفوس البشر آنذاك .. قدرتهم على إخضاع قوى الطبيعة بإجراء بعض الطقوس السحرية المعينة التى تهدف إلى التسلّط على هذه القوى ورغم أن هذه الطقوس ..



كانت طقوساً خرافية، إلا أن الإنسان البدائى وثق بها واطمأن إليها، وأحس فى بعض الأحيان أن بعض هذه القوى أبعد عن متناول السحرة والسحر، فأخذ فى مهادنتها وتملقها بالهدايا والذبائح وإقامة الصلوات الخاصة أملاً فى أن ينال رضاها وأن تستجيب بدعائه وصلواته، وهكذا ظهرت الأديان البسيطة والتى تقدّس الطبيعة وقواها الخارقة ، وذلك على الرغم من تداخل السحر فيها بحيث نجد فى بعض القبائل أن الساحر هو أيضاً .. رجل الدين ينفذ تعاليم الرب على الأرض .. واضعاً نصب عينيه رضا الكاهن خادم الآلهة .. والذى هو من رضا الرب !

وكان الاعتقاد السائد قديماً لدى الانسان ان الطبيعة تملكها وتسيطر عليها كائنات روحية يقيمون لها وزناً كبيراً لأنها مشحونة بالقوة التى تؤثر على مصير البشر وحياتهم آنذاك كما كانت القبائل البدائية أيضاً تسلم تسليماً جازماً بأن لكل هذه القوى الخفية والخلائق الحيّة المتحركة ـ لها أنفساً وأرواحاً ـ وأن لكل مخلوق بشرى أيضاً نفساً أو أنفساً تغادر الجسد مغادرة مؤقتة عند النوم وفى أثناء الأحلام بالذات .. كما تغادره نهائياً عند الموت .. !

وكانوا يعتقدون أن هذه الأنفس والأرواح لها أشكال محددة خاصة بها وأن لها أيضاً فكراً وإحساساً وإرادة مثلها سائر الكائنات الأخرى الحيّة على ظهر كوكب الأرض .. وأن هذه الأنفس تحب المداهنة والإخلاص لها والولاء لخدمتها حتى لاتغضب عليهم ويتعكر مزاجها .. من تصرفاتهم فتوذيهم وتصيبهم بالضرر الجسيم .. وتقترن هذه العبارة عادة بالصلاح والصلاة والمديح والتوقير والرهبة التى تنص على احترام القوة المقدسة والاعتراف بوجودها .. وغير محدد أو معروف تاريخياً متى بدأت هذه العبادات أو ظهرت هذه الأديان بالتحديد الدقيق فى الأزمنة القديمة .

ولعل من أهم المعتقدات الشائعة بين القبائل البدائية فى تلك الأونة كانت توقير الأحجار والجبال والنباتات والأشجار وبخاصة الأحجار التى كانت تسقط من السماء .. ولعل أقرب مثل لذلك هو « الحجر الأسود » أو الذى يطلقون عليه تجاوزاً (الحجر الأسعد) بالكعبة الشريفة والذى يقبّله كل حاج تبركاً به .

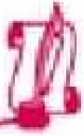
كما تجد فى الأزمنة القديمة ـ مانجده حالياً بين بعص قبائل هنود أمريكا الشمالية والقبائل البدائية فى جزر الفلبين من وجود عقيدة سائدة والتى ملخصها « أن أسلحة زعيم القبيلة لديها قوة ذاتية مختزنة فى داخلها وهذه القوة الغامضة ـ تعمل من تلقاء نفسها » .

ويحكى أن أحد زعمائها « لم يكن إنساناً عادياً .. فإن معاصريه قد أصروا على أن فأسه ورمحه يقتلان تلقائياً بمجرد صدور الأمر إليهما » .

وأيضاً نجد أن الفأس ظلّت لسنين طويلة محل تكريم وتوقير فى المناطق الريفية من بلاد المانيا واسكندناوة وأيضاً فى العالم اليونانى الرومانى .. وبالنسبة لتوقير الأشجار.. لازلنا نجد حتى الآن فى بعض المناطق الجبلية من أوروبا ـ حيث يقوم الحطابون ببعض الطقوس المعينة عند قيامهم بقطع الشجرة الكبيرة ـ حيث يقومون بالهمهمة والدعاء يلتمسون فيه المغفرة والسماح من الآلهة .. قبل قطع الشجرة ، ولازالت بقايا توقير الأشجار والاحتفال بها سائدة حتى الآن ، ونرى ذلك فى الاحتفالات التى يجريها الغرب والأمريكيون « لشجرة الميلاد » .

والغريب أن بعض نساء اليهود الحمر العواقر ـ يقومون بتزويج أنفسهن لبعض الأشجار المقدسة حتى يلدن أطفالاً .

ولايفوتنا أيضاً توقير الإنسان البدائى للحيوانات ـ وذلك لشعور



الإنسان بوجود ارتباط بين الإنسان والحيوان . كما يلاحظ ذلك .. جليًا فى بلاد الهند ـ ذات الديانات أرواح الحيوانات وبخاصة البقر والجاموس ـ والأسود فى أفريقيا ـ والنمور فى الملايو والنسور والدببة وكلاب البحر فى أمريكا الشمالية ـ وعجول أبيس فى مصر واليونان ، والكنغارو فى القارة البكر (استراليا) .

وهذه الحيوانات يضفى عليها أقوامها .. صفات عديدة من البطش والقوة أو الرقة مما يجعلها محل تقدير واحترام وعبادة أحياناً .وهناك أيضاً اعتقادات جازمة لدى الهنود فى القارة الهندية من أن أرواحهم عند الموت تدخل أجساد الحيوانات الأليفة كالأبقار والجاموس والكلاب والقطط ـ لذلك فقد حرموا على أنفسهم ذبحها ومنعوا الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى من لمسها أو الأقتراب منها .

كما كان الاعتقاد السائد لدى بعض القبائل البدائية فى أفريقيا وحوض نهر الأمازون ـ أنه يوجد آلهة فوق الجلد وإله واحد كبير هو أبو هذه الآلهة وأنه هو الذى خلق البشر والأرض والبحر والجو وسائر الحيوانات والطيور .. وهو يجلس على مسافة بعيدة منّا ليرقب تصرفاتنا وهو لايتدخل فى شئون البشر فيما لايعجبه ؟!

وهذا ماتؤكده ماورد لنا عن القبائل البدائية من الأقزام الأفريقية «وأهل فيجى» فى أمريكا الجنوبية ، وأهل الغابات فى القارة الاسترالية ـ واعتقادهم أن الإله الأكبر المتعالى ـ قد عاش ذات يوم على سطح الأرض .. قبل أن يصعد.. وقد علّم الناس الشرائع الاجتماعية والسماوية اللازمة لصالحهم وصالح ذرياتهم وذويهم ، قبل أن يعود أدراجه فى عالم الجو ليراقب بعينيه من بعيد تصرفات البشر وقد يعاقبهم عقاباً صارماً علي انحرافهم بسلاح البرق وزئيره من الرعد ، ولكنهم لايرونه أبداً بل يحسّونه بعقابه عند انزال البرق عليهم

من السماء حيث يوجد !

ويرجع هذا الاعتقاد إلى أن الناس راحوا يتساءلون عن كنية الأب الأول ؟ الذى أنشأهم أول مرة ، وقد أعيتهم الحيل فى الوصول للإجابة من الكهنة والسحرة الذين عاشوا معهم مما جعلهم يضطرون إلى النظر للسماء حيث يوجد العلّى.. ذاك القوى الخفى الذى لايُرى ؟

وهكذا بدأت فكرة الوحدانية فى الأديان ـ تدخل حياة البشر وخاصة البدائيين الأوائل ومع الشباب .. فى عالم الشباب الذى لايدخله إلاّ من كان شاباً أوتى قوة وحيوية الشباب .

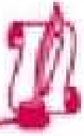
وماكان يفعله السحرة فى ذلك الوقت من طقوس معينة للتسلّط على قوى العالم .

الطقوس القديمة التى كانت سائدة فى تلك الأزمنة

كان للسحر أكبر الأثر فى تلك الطقوس ـ حيث أن الكهنة هم أيضاً السحرة الذين يقومون بإعداد وصفات العلاج من الأعشاب الطبيعية لزعيم القبيلة أو الحاكم ـ منها مايؤدى إلى تقوية الجسد ويزيد من فحولته وحيويته لامكان قيام الزعيم الكبير .. المسنّ عند الزواج من صبية حسناء فى عمر أحفاده لكى يجدّد معها شبابه ويعيش دنياه من جديد .. دنيا الشباب .

لإخضاعها لإرادة الإنسان .. ولذلك لايمكن فصل السحر عن الدين لتداخلهما معاً .. ولقيام رجل واحد بهذه المهام فى آن واحد .

ولعلّ أغرب وأقرب الأمثلة على ذلك ماكان يفعله الزراع في القبائل الزراعية البدائية .. عندما يريدون نمو النبات إلى ارتفاع كبير فيذهب



المزارع في حقله وقت تفتح براعم الحبوب - فيقوم بأداء بعض الألفاظ والحركات البهلوانية مثل القفز العالي في الهواء لكي ينمو النبات ويكبر ويرتفع مثل قفزته العالية .

وإذا أرادوا هطول الأمطار لري زروعهم ونباتاتهم يقوم المزارعون بالذهاب إلى المنحدرات ثم يدحرجون الأحجار من فوق هذه المنحدرات وهو يدقون الطبول - ويصرخون صرخات هيسترية عالية لإحداث عاصفة رعدية .. تتسبب في هطول الأمطار .

ولعلّ أخطر أنواع السحر البدائي - في القبائل البدائية كان هو (السحر الأسود) سحر أذى الغير وهلاكهم - وأبسط أنواعه أن يصنع أحدهم تمثالا لعدوه من الشمع أو الأشجار أو التبن المكسو بالأقمشة التيلية أو جلود الحيوانات المتوافرة في البيئة آنذاك ويقوم بطعن هذا التمثال بالدبابيس - وتكون النتيجة أن يموت العدو في الحال أو ليلتها « دون انتظار لشروق الصباح» ؟!

وهناك نوع من السحرة (سحرة السحر الأسود) الذين يزعمون بأن لهم القدرة على إخراج الأرواح الشريرة التي تسكن الأجساد المريضة (المصابة) أو إدخال الأرواح الشريرة إلى داخل أجساد الأصحاء من البشر ، وهذا النوع يعرف باسم (الأطباء السحرة) والمشعوذين - وتتلخص طريقتهم في ذلك (بوقوع الساحر الطبيب - أو المشعوذ في حالة هيام جنونية هيستيرية ليرتفع إلي مستوى عالم الأرواح لكي يتسلط على أرواح معينة وبخاصة أرواح المرض والموت لكي يطردها ممن تحل في أجسادهم من البشر أو بأغرائها على دخول أجساد الأصحاء من البشر .

كما كان يوجد قديماً - في القبائل البدائية في الأديان البدائية بين هذه القبائل - علاقة وثيقة بين السحر وبين العرافة - « أي التوافق مع

القوى الروحية وإدراك ماهو غامض وخفى في الحاضر والمستقبل » (فالعراف) قد يستخدم قواه السحرية الكامنة فيه ، أو قد يوطّد علاقات بينه وبين عالم الأرواح وبخاصة أرواح الموتى من البشر .

وبهذه الطريقة ـ يحصل « العراف » [1] على المعلومات المطلوبة عن الأشخاص أو أحداث الأرض التى حدثت بها أو فوقها .. أو تحتها .

والمعتقدات السائدة في هذه القبائل البدائية .. أن « العراف » يكون على اتصال بعالم الأرواح أو روح معينة تلازمه ـ تطلعه على الخفايا والأسرار .. وقد يكون « للعراف » مظهر دينى موقّر ـ يمليه عليه عُلوى عن طريق الأحلام والرؤيا أو كلام الآلهة ، كما كان يفعل الأغريق قديماً لإيمانهم بها فى الأساطير العديدة من دينهم القديم .

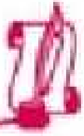
ومن أهم مظاهر « العراف » أو العرافة ـ قراءة الطوالع في طيران الطيور أو قصف الرعد أو ظهور المذنبات فى الجو ، أو حالات الكسوف والخسوف والحوادث المفاجئة أو غير ذلك من الظواهر .

وقد كان « العراف » ـ من أهم ضرورات الحياة البدائية للإنسان البدائى ـ بحيث نجده فى كل الأديان البدائية ـ القديمة آنذاك ؟!

ولعله من أغرب العادات القديمة وأكثرها إحتراماً وتقديراً تلك العادة الشائعة عن احترام الزعماء ـ فى القبائل البدائية فى شتى الأقطار حيث يعتبر شخص الزعيم ـ من الحرمات المقدسة التى لايمكن الاقتراب منها أو ملامسة ثيابه أو أدوات طعامه .. أو حتى البسط والحصائر التى ينام عليها لإيمانهم المطلق .. بأن الزعيم (مشحون بقوة عظيمة بحيث يتعرض للخطر الجسيم كل من يلمسه أو يلمس ثيابه) .

وياويل كل من لمس هذاعن طريق خطأ غير مقصود كان لزاماً عليه

١ ـ العراف : الرجل الذى يعمل بالتنجيم وقراءة الطالع (رجل أو امرأة) .



أن يجرى بعض الطقوس المعينة للاستغفار طالباً الصفح والمغفرة .

وتحكى الأساطير القديمة ـ فى القارة الأفريقية ـ « أن بعض الرجال والنساء قد ماتوا فزعاً ورعباً بعد أن علموا أنهم قد أكلوا سهواً من بقايا طعام الزعيم دون أن يدروا .. وبعض القبائل تعتقد فى حرمة الأسلحة الحادة والدم وشعر الرأس والشعر المقصوص والأظافر المقصوصة (وذلك لأن بها بعضاً من الروح حتى بعد أن فصلت عن الجسد) .

وقد كانت الحرمات عند القبائل البدائية قديماً ـ مصادراً للخطر عند الاعتداء على حرمتها ، لما فى ذلك من إثارة القوي المعتدية عليها ودفعها للانتقام منهم وتوقيع الجزاء الرادع عليهم . وقد ينشأ فى نفس المعتدى إحساس بالذنب والدنس ، وقد يعرض هذا التدنيس القبيلة كلها للخطر مالم يتم إبعاد هذا المعتدى المدنس أو تطهيره حتى لايحكم عليه بالموت تخلصاً من العار الذى جلبه عليهم .

كما قد تكون هناك أرواح نجسة أو مدنسة تسكن في أسرة أو قرية ، مما يتطلب إجراء طقوس معينة للتطهير وطرد الروح من مكمنها ، وذلك بعدة طقوس مختلفة منها :

* الصوم والامتناع عن الأكل وقصّ الشعر والأظافر .

* أو الزحف وسط أبخرة من الدخان .

* أو القفز فوق النيران .

* أو الغسيل بالماء والدم أو إحداث جرح فى الجسم لخروج الروح الشريرة منه مع الدم الذي يخرج عندئذ .

وفى هذه الطقوس التطهير النفسى والبدنى ورفع الأذى عن القبيلة من الروح العلىّ .. الكبير الذى يسكن السماء نحر الذبائح تقرباً له

وطلباً للحماية ولطرد الروح الشريرة من الجسد إلى عالم الأرواح حيث مستقرها .

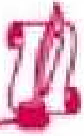
وينطبق الذبح على الحيوانات التى تؤكل دائماً ، وأحياناً تكون الأضحية .. إنساناً سوياً من أفراد القبيلة ـ وقعت عليه أقلام الكهّان والسحرة بناء على طلب الأرواح ذلك .. ويعتبر تقديم الذبائح .. كنوع من الكفارة والترضية للتكفير بها عن سوء الأعمال وأيضاً ذبائح استرضائية كطلب من الروح العليّ الكبير.. أن تمنحه قوى خارقة .. تسكن جسده .

وأيضاً هناك ذبائح مقدسة بواسطة إعداد وليمة عشاء مقدس للقوى الروحية.. وكل هذه الذبائح تدخل تحت سمات الديانات القديمة التى يؤمن بها الإنسان البدائى إيماناً جازماً.. لايتخلى عنه خوفاً على حياته من الهلاك أو إصابه جسده بالأذى .

ومن أهم الطقوس الدينية التى يتناقلها الأفراد .. بين القبائل بعضها وبعض .. روايات الأساطير الخارقة التى تروى لهم من الأجداد .. وأجداد الأجداد.. وهى متصلة بحياتهم ، ويجدون أنفسهم أمام عادات وطقوس يصعب تأويلها وفهم معانيها .

ثم يعودون إلى الوراء .. إلي أصول بعيدة .. إلى آباء لايذكرونهم وإلى أبطال خياليين أسطوريين أو إلى آلهة عليا ـ كل هذا لكى يثبتوا قوة وصلاحية هذه العادات والطقوس الموروثة .. المتوافرة حيث أن الأساطير من هذه الوجهة إنما هى لتزكية العادات والتقاليد القبلية .

ومن ضمن الأساطير تلك التى ترددت بين الناس فى تاريخ الأديان البدائية.. يتساءلون من الذى خلق هذه الأرض ؟ وكيف خلقت ؟ وكيف صارت صالحة لسكنى البشر ؟ ومن ضمن هذه الأساطير : « إن الإله



الأعلى أو البطل الدينى غطس فى المياه وجاء بالرمال التى صنع منها الأرض ، أنه أخرج الحيوانات والنباتات من كهف ووضعهم فى الأرض ، أو أنه كافح مع جبابرة للحصول على المواد التى صنع منها الأرض » .

وهناك أنواع من الأساطير تعبّر فى أوضاع خيالية عن مظالم ومساوئ النظم الحياتية الأرضية للبشر، والأساطير التاريخية التى تتفنن فى اصطناع البطل الأسطورى لقصة حدثت فى التاريخ القديم .. ويلفّ اسم البطل بأستار من السحر والغموض حتي تبدو شخصيته جلية واضحة فى عالم الأساطير الدينية القديمة لكي يبدو فيها أشبه بالإله المعبود ؟!

وقد ظهر فيما بعد نوع من عبادة الأسلاف بين هذه القبائل المتأخرة والبدائية .. نتيجة لشعورهم عند فقد عزيز لديهم بفراغ شديد وحاجاتهم الماسة للتحدث معه أو عدم تحملهم فراقه .. مما يجعلهم يشعرون في قرارة أنفسهم أن هذا الميُت العزيز لابد عائد إليهم ؟!

إذن ماذا سيفعل مع
الأرواح في الفراغ الهائل الذى يعيشون فيه ؟

وكان مبعث ضيق البعض منهم وبخاصة أطباء السحر والكهنة إحساسهم بعودة الميّت من جديد إليهم ومحاسبتهم عما اقترفت أيديهم فى حقه أو فى حق زوجته وأولاده ، فكانوا يوعزون إلى أقارب الميت أن يقوموا بسد مقبرته ووضع الأحجار الضخمة فوقها حتى لايخرج من قبره ويعود إليهم لايذائهم ومشاركتهم أرزاقهم ، بل ونساءهم فيما بعد ؟!

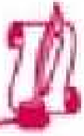
وهكذا بدأت القبائل البدائية إذا مات أحدهم - يقوم أهله وأقاربه بربطه بالحبال المتينة مع غرز وتد على صدره لكى يضمنوا قيدجسده بالأرض وعدم عودة الميّت إليهم مرة ثانية .

ويعمد زنوج الكونغو إلى غرز أشواك كثيرة على القبر فى طريق العودة المؤدى إلى القرية ضماناً لعدم عودة الميت إليهم ، لأنه إذا ماحاول أن يمشى على الأشواك ، فستدمى قدماه وتنزف كثيراً .. حتى الموت وتحول بينه وبين العودة إلى بيته .

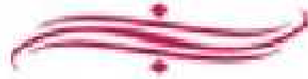
وبعض القبائل تقيم أخاديد حول القبر فى طريق العودة ، وبعضها أيضاً تقيم الحواجز الطبيعية مثل الأسوار أو النباتات الشوكية الحادة ، لكن هذا لم يكن يحدث فى الصين القديمة ، بل على العكس حيث كانت الشعوب هناك تعلم علم اليقين أن الأرواح تواقة لمساعدة ذويها فكانوا يحاولون استرضاءها بدفن بعض الحلوى والملابس الفاخرة مع الميت ، أو تقديم المشروبات والمأكولات أمام قبر الميت قبل الدفن - فى محاولة لكسب ودّ الموتى واسترضائهم .؟!

ولعل أصدق مثل على ذلك ماكان يحدث فى مصر القديمة أيام حكم الفراعنة القدامي - حينما كانوا يدفنون مع موتاهم أسلحتهم وحليّهم والأفران الصغيرة والأرغفة وبعض المأكولات التى تتحمل طول البقاء بلا تلف كى يجد الموتى عند استيقاظهم من الرقود.. مأكلهم ومشربهم فى انتظارهم فلايموتون جوعاً وعطشاً ؟!

وفى الأزمنة السحيقة كانوا يرسلون الزوجات ولخدم إلى القبور والمدافن - وهناك إما يذبحونهم .. أو يحرقونهم .. أويدفنونهم أحياء مع موتاهم .. وإلى عهد قريب جداً كانت القبائل الإفريقية تدفن مع ملوكهم الموتى - مئات الرجال والنساء أحياء - لخدمتهم والعمل على راحتهم فى العالم الآخر - حتي لايجد الملوك .. أنفسهم .. وحيدين ..



وسط عـالم الأرواح .. في الحـيـاة الثـانيـة .. بلا خـدم ولاحـشم ، ولاعزوة وأنهم يقفون وحدهـم .. بلا حاشية أو هـيلمـان .. أو صولجان ولاحرس ووزراء ، فـيبـدون أمـام عـامـة الناس من الموتى .. مـن أفـراد الشعب .. كأفراد بسطاء .. مثلهم .



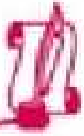
الفصل الثانى

الديانات القديمة .. فى مصر الفرعونية

لقد انتقلنا هنا ـ عزيزى القارئ من الأديان البدائية القديمة التى استنّها البشر فى أوائل حياتهم إلى الديانات الأكثر تطوراً أو سمواً وقوة ومكانة ، ومع تعدّد هذه الديانات .. تعدّدت بالتالى الآلهة الى تتبعها هذه الديانات .. ولعل مصر القديمة ـ عزيزى القارئ ـ تضرب لنا أبسط الأمثلة على تطور هذه الأديان .. من عبادة الروح .. إلى عبادة الآلهة المتعدّدة والسلوكيات الملتزمة الحاكمة التى تنبثق من هذه الأديان .

ونتيجة لهدوء طبيعة جو مصر القديمة واتساع خيراتها واستواء أرضها وعظمة مناخها الشاعرى الجميل الذى قَلّ أن يوجد مثله فى سائر بلاد العالم أجمع .. والنيل العظيم وهو يحفُّها من جوانبها ووسطها .. مسترسلاً يمشى فى هدوء ووقار.. ناعماً ، كل هذا ساعد أهلها على التفكير والتأمل فى الآلهة الأخرى .. بعد أن بدأت هذه الآلهة المعبودة على شكل حيوانات لكل قبيلة أو جماعة إلهها الخاص بها ، حيث ترى فى الريف المصرى تنوع الآلهة المعبودة من حيوانات البيئة مثل ذلك :

* بلاد تنيس وأبيدوس ـ كانت تعبد آوى .



* مدينة الفيوم ـ كانت تعبد التمساح .

* مدينة طيبة ـ كانت تعبد آمون ـ فى شكل كبش .

* ومدينة منف ـ كانت تعبد إلهين هما اللبؤة وعجل أبيس الشهير .

* ومدينة دندرة ـ كانت تعبد البقرة ويطلقون عليها اسم (هاتور) .

* مدينة إدفو ـ كانت تعبد الصقر وغيرها من الجماعات ـ كانت تعبد القرد، وفرس النهر، والحيّات .

وقد كانت هذه الحيوانات والطيور لاتعبد لذاتها وإنما لخواصها التى كانت تتميز بها والتى كانت فى بعض الأحيان (فائقة للبشر) ، وذلك اعتقاداً منهم أن الخواص الإلهية يمكن أن تظهر فى الحيوان أو الإنسان أو كليهما معا ـ ولذلك صوروها فى أجساد بشرية برءوس حيوانية أو العكس .. فمثلاً إله الموتى وحارس المقابر والمدافن ـ (أونوبيس) كانت له رأس ابن آوى ـ وإله العلم (توت) حمل فوق كتفيه رأس أبيس العجل المقدس نسبة إلى الإله .

الديانة القديمة .. للإله أوزوريس

يرجع أصل ديانة الإله « أوزوريس » ـ إلى ماقبل التاريخ كما تقول الأساطير القديمة ، والتى تقول عنه ، أنه كان فى الأصل إلهاً زراعياً ـ قدم على (مصر) فى شكل إنسان خادم من ليبيا أو سُورية .

وتحكى الأسطورة القديمة ـ قصة قدوم الإله « أوزوريس » وزوجته (إيزيس) عند هبوطهما فى صورة بشر بالقرب من مدينة طيبة ـ حيث نزل عند كاهن متواضع الحال ، وكانت طيبة فى ذلك الوقت ـ مدينة غير مشهورة لأنها كانت آنذاك ـ مدينة بلاشوارع جميلة أو متسعة ولايوجد بها معابد كثيرة ولاتماثيل ضخمة الصنع ،

ولاقصور أنيقة البناء .. بل كانت كل بيوتها مصنوعة من الأحجار المستطلية البيضاء .

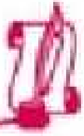
وتجمّع الناس حول الإله (أوزويس) وزوجته الحسناء (إيزيس) وهم يتفرسون فى وجوههما مبهورين .. بهذا الجمال البشرى الرائع التكوين الذى ليس على بشر ، وتلك المهابة والقوة والإجلال التي تنطق بها ملامح هذا الإنسان الهابط من السماء ؟!

ولم يجد امرأة أجمل ولاأنقى من إيزيس آنذاك لشدة جمالها لدرجة أن الناس شبهوهما بالآلهة القادمة من السماء .. وأحس الناس بالغريزة أنهما حقاً ليسا من سكان الأرض، فأحاطوهما بالتبجيل والتقديس، والاحترام الشديد الذى يليق بحضرتهما السامية .

وقد سمع بمقدمهما الملك والملكة ـ فانهالا على الكاهن البسيط بالأسئلة ـ يسألونه عن هذين الغريبين .. من أين جاءا ؟ وكيف جاءا ؟ هل أتيا بالقوارب عن طريق النيل أم ركوباً عن طريق التلال والبر ؟

ولماذا أتيا إلي هنا ؟ ولكن كل هذه الأسئلة لم تفلح فى استخراج أجوبة شافية للملك وزوجته إلا ما كان يردده الكاهن البسيط ـ أنه وجدهما فجأة يقفان أمام باب المعبد الصغير ولم يعرف كيف أتيا إلي هنا ، وقد قبلا النزول فى ضيافته لفترة من الزمان .

وكلما مرت الأيام ـ ازداد الناس حيرة من أمرهما .. واحتراماً لهما .. وخشية وتقديساً لهما ـ كحدّ العبادة .وسرعان ماعاش الغريبان بين الناس يواسيان الفقراء والضعفاء .. والمصابين ويداويان الجراح وكلما اشتد الكرب أو المرض ـ تجدهما يقفان بجانب الملهوف والسقيم .



وكان الإله (أوزيريس) مشغولاً طوال اليوم ـ نهاره في المزارع والحقول ـ يرافق العمال والزراع يعلمهم ويشرح لهم كيف يصنعون المحراث وكيف يستخدمونه في شق الأرض وتقليبها.. وكيف يصنعون الشادوف ليرفعوا به المياه من الترع والأنهار لري الأراضي الزراعية بدلاً من حمله في أوعية كبيرة فوق الأكتاف والظهور.. وقد طلبه الملك ـ لتعليم وزرائه وقواده الحكمة فكان يذهب إليهم في المساء ـ بعد أن يعلم الزراع والشيوخ والشباب طوال النهار .

وقد ألحّ عليه رجال البلاط والحاشية أن يبيت عندهم في القصر لينعم بأطايب الطعام ـ وينام على الفراش الوثير، ويلبس أحسن الثياب ، لكنه كان يفضل سُكنى الكاهن البسيط على أجنحة القصر وأطايب طعام الملك .

وأخذ (أوزوريس) يشرح للناس العبادة ويوضح لهم أن التماثيل الحجرية التي يقدسونها ويعبدونها هي أصنام لاتعي ولاتسمع ولاتستجيب لأنها لاحول لها ولاقوة فهي مصنوعة فكيف تخدم صانعها الإنسان ؟!

وأنهم يجب أن يرفعوا أكفّ الضراعة للإله الأكبر الذي يسكن في السماء .. والذي يحميهم ويستمع إليهم وهو الذي يمدّهم بما يحتاجون .. بالشمس التي تهبهم بالدفء والنور وهي دليل واضح على عظمة الإله الأعلى والنيل الذي يروي أرضهم وزراعاتهم هو أيضاً .. هبة من السماء وإله السماء .. وكان يقول لهم في خطبة « أن من عاش نزيهاً مستقيماً غير محب لذاته استطاع رغم كونه إنساناً ـ أن يدرك الملكوت الذي يمثله الإله ويستمتع ببهائه وسناه » .

ومن كثرة ماشاهد الناس من أعمال (أوزوريس) العظيم وفعل

الخيرات للفقراء ومساعدتهم والنصح والإشاد للحكماء .. ومحبته للناس اعتقد الناس اعتقاداً جازماً أنه هو نفسه الإله الذى يتحدث عنه ؟!

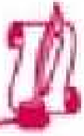
وهكذا استطاع (أوزوريس) بسلوكياته الرفيعة السوية أن يلفت أنظار المصريين إلى أعلى وأن يغرس فى نفوسهم الإيمان العظيم بالإله الكائن الأعظم (١) .

ديانة الإله (حورس) . إله الشمس الساطعة

رغم أن الإله (حورس) الذى نصب نفسه إلهاً للشمس - لم يكن هو الإله الوحيد - حيث نجد الإله (رع) الذى جاء ليكشف (حورس) وكان الإله (رع) يطل على المصريين من جبل المشرق في كل صباح مزهواً بأشعته الذهبية التى يرسلها لعباده.. مظفراً فخوراً بانتصاراته على قوات الظلام بادئاً رحلته النهارية فى زورقه السابح فى البحر السماوى - طاوياً ملايين السنين.. واهباً للنور والدفء وكل مقومات الحياة للمخلوقات على سطح الأرض من نبات وحيوان وإنسان .

ويرقبهم بعينيه النفاذتين ليرى أعمالهم الصالحة والسيئة عائداً آخر اليوم إلى حيث يحجبه واد عميق يصب فيه النهر السماوى خلف جبل المغرب .. وفى مصر السفلى (فى هليوبوليس) تمكن آله الشمس (آتوم) باتحاده مع الإله (رع) وهذه كانت الخطوة الأولى حيث أفلحوا فيما بعد فى الائتلاف والامتزاج مع آلهة الشمس الآخرى التى كانت تسمى (حورس) .

١ - راجع كتاب أديان العالم للقس الأستاذ حبيب سعيد - إصدار الكنيسة الأسقفية



ولهذه الأسباب ـ اتخذ المصريون القدماء (الفراعنة) فى عصر الأهرامات « المدة من (٢٦٠٠ ـ ٢٢٠٠ قبيل الميلاد) لأنفسهم لقب ابن « رع » أما الفراعنة الذين سبقوهم فرقدوا فى نومهم الطويل داخل الأهرامات ، فقد كانوا أيضاً نوراً للشمس وكانت الشمس ـ أبوهم فى الحياة ـ حياتهم الخالدة فى الموت أيضاً .

وبعد ألف عام من هذا التاريخ ـ نصبت ملكة مصر فى ذلك الوقت نفسها (رئيسة لكهنة الشمس) وعن طريق الفراعنة الذين جسّموا هذا الإله ـ أصبحت الشمس أباً لأبنائها الذين صاروا آلهة بالولادة .

وفى نفس الوقت اتخذ إله الشمس لقباً مزدوجاً لنفسه (آمون رع) . وكان (آمون) هذا إلهاً محلياً فى طيبة بمصر العليا ـ وآلهاً فى معبد الكرنك على مقربة منها .

وبعد الفتوحات العظيمة لممالك مصر عام (٢٠٠٠ ق .م) أصبحت طيبة المدينة الحاكمة وارتفع شأن آمون وصار إلهاً قومياً ، واتحد مع الإله (رع) القاهر القوى .. وحول (آمون رع) قامت أسرة إلهية تتألف من زوجته (مت) آلهة الطيبة وولدهما (كنسو) إله القمر .. واتخذوا (آمون رع) الكبش شعاراً لهم ، وقد وقفت أمامه الكوبرا للدلالة على أنه ملك الآلهة وفوق رأسه قرص الشمس المجنح .

ونخرج من هذا كله ـ عزيزى القارئ ـ بتعدّد الآلهة فى مصر وتعدد أديانها بالتالى ـ فى ذلك الوقت حيث نصب كل إله نفسه على بلد من البلاد ، وكان له رعاياه الذين يدينون له بالولاء والطاعة .

ولعل أشهر الديانات والآلهة التى كانت تعبد آنذاك هى :

أولاً : الإله (رع) إله الشمس ومصدر النور وواهب الدفء وكانت مدينة هليوبوليس مركزاً ثابتاً لعبادته فى ذلك الوقت من الزمان .

ثانياً :الإله (آمون) ومعناه الإله المستتر .. وكانت طيبة مركزاً لعبادته وقد اتحد مع الإله (رع) فيما بعد أصبح يعرف بالإله (آمون رع) .

ثالثاً :الإله (أوزوريس) ـ هو الإله الذى نزل من السماء وهو الذى يرسم للناس سبل المحبة والتعاون والسلام لخير البشرية .

رابعاً : (إيزيس) زوجة الإله (أوزوريس) ـ تعاون زوجها فى رسالته على الأرض وقد استعانت بالسحر لجمع أشلاء زوجها بعد صرعه وإعادته للحياة فيما بعد .!

خامساً : الأله (ست) إله الخبث والحقد والشر وهو عدو البشر جميعاً .

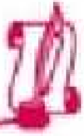
سادساً :الإله (تحوت) إله الحكمة وحارس القانون وهو الذى صنع الحروف وعلّم القراءة والكتابة للبشر .

سابعاً : الإله (بتاح) الذى عبده أهل ممفيس ـ وكان إلهاً غريباً غامضاً قيل عنه انه الذى خلق العالم من الطين ، وكان ملفوفاً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه بالضمادات ـ كأنه مومياء ـ للدلالة على أن تاريخه غارق فى القدم ولاتعرف بدايته .

وآخر الآلهة الإله (مات) .. وهو إله الحق الذى رسمت صورته على النقوش فى المعابد المصرية وهو واقف عند باب قاعة الدينونة ، حينما كان يوزن قلب الإنسان .

الحياة الأخرى .. عند قدماء المصريين

كان المصريون القدماء ـ عزيزى القارئ ـ يؤمنون إيماناً راسخاً بأن هناك حياة أخرى فى العالم الآخر، وكانوا يعتقدون أن الأجسام



سوف تقوم كما هى مرة أخرى لتستأنف وجودها فى ظل حياة أفضل وأكمل لهذا بذلوا عصارة أفكارهم وجهدهم فى العناية بأجساد الموتى للمحافظة عليها بعد الموت بعد ذلك بتحنيطها وإخفائها ـ بعيداً عن اللصوص الذين يسرقون حليّها وملابسها فلاتستطيع بذلك أن تعود إلى البعث ، وتستمتع برحلة الخلود ـ لأنها لاترتدى الملابس اللائقة بالأرواح والعالم الكامل ، حيث فردوس السلام الآمن الأبدى !

وبعد الموت كانت الأرواح تتجه إلي الوادى الرهيب (رجالاً ونساء) وهذا الوادى على شكل نصف دائرى ترسبت على جوانبه صخور وجبال شامخة وفى بطنه يجرى (نهر الدينونة) المخيف .. وهذه كانت تسمى (مملكة الظلام) فمياه النهر عكرة داكنة .. تنبعث منها أبخرة خائفة لايستنشقها إنسان وتكتب له الحياة .

وعلى طول المجرى لهذا النهر المخيف (نهر الدينونة) تشاهد الأرواح العائدة .. مناظر مروعة ترتعش لها أبدان أشجع الشجعان .

ولاتستطيع الأرواح فى رحلتها أن تقطع هذا الطريق قبل دخولها فردوس النعيم وكان الوادى مقسماً الي اثنتى عشرة منطقة تشير كل منها إلى ساعة من ساعات الليل البهيم ، ومدخله محصن بأسوار مرتفعة وبوابات ضخمة يقوم على حراستها وحش دميم الشكل والمنظر .. !

وعلى شاطئ النهر تكمن الأفاعى ـ وبين ثنايا الصخور أيضاً تجد الأفاعى ذوات الأعين النارية، والتى يخلع فحيحها القلوب، وتطل الثعابين الضخمة القاتلة من جحورها متربصة بالحجاج الذين لم يستطيعوا استكمال هذه الرحلة المريرة ـ لعدم وجود أسلحة النصر لديهم .

ولم يكن فى استطاعة الروح أن تجتاز الوادى المظلم بمفردها .

لهذا كانت الأرواح تتجمع حول المدخل الرئيسى حتى إذا ما اقترب الإله (رع) عند مغيب الشمس - ويزدحم الأموات محاولين تسلق وركوب الزورق الإلهى - فينجح عدد منهم فى الحصول على أماكن لهم فى القارب الإلهى - بينما الذين لايملكون أسلحة البر ودرع الفضيلة - تجرفهم الزحافات ، وسرعان ماتبتعلهم المياه الحالكة الظلام .. أو تلتهمهم التماسيح الجائعة..التى تقف لهم بالمرصاد وسط النهر الرهيب .

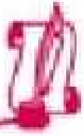
ثم يدخل الزورق الإلهى - ويبدأ الأموات رحلتهم فى ظل روح الإله (رع) رغم أن ذلك لم يعفهم من مواجهة أعدائهم المثبتين على جانبى النهر .

والأرواح الخبيثة التى تحاول أن تقلب الزورق وتحطمه بمن فيه ، ولكنهم بفضل تمسكهم بذراع الإله (رع) يتمكنون من صدّ الوحوش الهائمة فى المناطق الخمس الأولى (١) .

وحينما ينتصف الليل - فى المنطقة السادسة - يصبح الأله (رع) بلاحول ولاقوة - فيتخلى عنهم تاركاً الأرواح لمصيرها وحدها دون تدخل منه أمام « محكمة أوزوريس العظيم » - رئيس القضاة وديان الموتى .

وفى ردهة كبيرة ضخمة ينتظم على جانبيها إثنان وأربعون إلهاً ممثلين بعدد الإمارات في المملكة المصرية - يجلس كل منهم على عرش عاجى مذهّب يتوسط الإله (أوزوريس) المهيب - فوق منصة تعلو تسع درجات متربعاً على عرش من ذهب خالص يمسك فى يده صولجان الحكم وعلى رأسه تاج مصر المزدوج وأمامه يأتى الإله (أونوبيس) وزّان القلوب بميزان الحق الدقيق ، ويضع فى إحدى كفتيه

١ - راجع كتاب زورق الشمس - ديانة المصريين القدماء » للأستاذ كمال الملاخ »



ريشة العدل الإلهى ، وبجانبه (تحوت) حارس القانون ومسجل الأحكام ، ومن ورائه هوة سحيقة احتفرها زبانية الجحيم ـ ومنها يبرز تنين لعين ، وقد كشف عن أنيابه منتظراً فرائسه بابتسامة .. ساخرة ؟!

وهو مشهد ترتعد له فرائص الروح حينما تدخل بهو المحكمة العظيمة فتعتم أمامها الصور فلاتراها واضحة .. وتتراقص أشباح الآلهة .. ويعطى القاضى الأعظم للميت ـ الفرصة حتى يفيق من هول المفاجأة والذهول ، ثم تبدأ على الفور ـ المحاكمة فتنهال عليها الأسئلة التالية :

* هل ارتكبت جريمة أو نطق لسانك بالكذب ؟
* هل غدرت بجارك شاهداً بالزور، وقتلت أخاك عن عمد وإصرار؟
* هل أعطيت مجداً للآلهة ، وهل أحببت قريبك كنفسك ؟
* هل خنت الأمانة في زوجة جارك .. أو أرضه أو بيته ؟

ويترك رئيس المحكمة ـ الفرصة للميّت حتى يستعيد هدوءه من هول الموقف ثم يبدأ أعضاء المحكمة فى استجوابه فيما يكون قد ارتكبه من ذنوب وآثام ؟ فيسألونه عن جرائم الكذب والسرقة ، والقتل والخيانة وشهادة الزور ، وإيذاء القريب ، وعصيان الألهة .

ويجيب الميت (الروح) على هذه الأسئلة كلها إجابات مرضية مستعيناً بما تعلمه من كتبه المقدسة ، وما تلقّاه فى حياته من أفواه الكهّان .

ثم تحين اللحظة الأخيرة الحاسمة فور انتهاء الاستجواب ـ لحظة قاسية لايختفى أثناءها سرّ ، بل كُلّ شيْ مكشوف وعُريان !!

وهنا يتقدم (حورس) قومندان الحرس ـ قابضاً على الميت ويخطو

به نحو منصّة الرئيس الذى يصدر الأمر بخلع قلبه الروحانى فيتسلمه (أو توبيس) وبضعة فى إحدى الكفتين - مقابل ريشة الحقّ في الكفة الأخرى .. ويراقب (تحوت) حركة الميزان بدقته المعهودة ، كما يراقبها صاحب الموزون فى رهبة وفزع .

ويرى الميت (الروح) بعينيه شراهة الوحش الرابض فى الحفرة من خلفه منتظراً الأوامر - فإذا رجحت كفة القلب أو تساوت فى الثقل مع ريشة الحق فى الكفة الثانية - رضى عنه (أوزوريس) وسجله (تحوت) فى قائمة الفائزين .

* ويا ويل من حذف اسمه من كشف المقبولين .

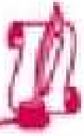
* ويا ويل من غش الآلهة فيفتضح غشه فى الميزان .

* ويا عذاب من يوجد قلبه فى الكفة إلي فوق .

* فلاالدموع ولاالنحيب ، ولاالتوسل ، ولاالتوبة تشفع فيه الآن .

كانت الأرواح تسمى هذه الأصوات وهى تتردد فى جنبات القاعة الإلهية - قاعة محكمة (أوزوريس العظيم) . وسرعان مايتقدم الحراس الأشداء فيقودونه ويسوقونه إلى حيث يتلقفه الوحش الخبيث بين فكيه ويمرق به داخل الهوة التى لا قرار لها ، هائماً بالروح أعواماً ودهوراً فى بحيرة من نار .!

أما المكتوبون فى سفر الحياة فيخرجون من بهو المحكمة إلى الباب الخلفى حيث ينتظرهم (رع) ويحملهم معه فى قاربه الإلهى إلى المنطقة السابعة فى وادى ظل الموت .. ومن هنا تبدو أمامهم الرحلة أكثر سهولة وأخفّ عبثاً ، لأنهم نالوا قوة بعد إجتيازهم أقسى امتحان ، فيعبرون منطقة بعد أخرى ساحقين أعداءهم دون كبير عناء - حتى يقتربوا من آخر الأقسام .



ولكن أطلم ساعة فى الليل تسبق الفجر ، وكان على الأرواح أن تجتاز الخطر الأخير الجاثم أمام زورق الزمان ، فقد ربطت فى مصب (نهر الدينونة) .. أفعى هائلة الضخامة ، بحيث لم تترك كتلتها مكاناً للزورق لكى ينفذ منه .. لامن حولها ولامن فوقها ، ولم يكن بدّ من أن يشق الزورق طريقه فى جوفها .. !

وعلى شدّة ما انتاب المناطق السابقة من سواد حالك وعتمة شديدة الظلام - فإنها لاتقاس بهذه الظلمة الكثيفة فى بطن الحية الرقطاء ؟!

هذه الكثافة المظلمة يحتمل أن تتوه فيها الروح وهى على عتبة عالم النور ، لو لم تكن قوة (رع) حارسه ومسيجة من حولها .

وفى نهاية المطاف يظهر قبس من النور ضئيل، وبسرعة تزداد الخيوط توهجاً وإشراقاً، ثم تنفتح البوابة الأخيرة على مصراعيها، ويبرز منها الزورق الذى يطوى السنين - سابحاً فى نور الشمس الوضاء ، فتستقبله الآلهة بأناشيد النصر وأغاريد الفرح .

وعندما ينشر (الإله) أشعته الذهبية حول الأرض - يشترك الأضياف الذين حملتهم سفينة الزمان مع أجواق الأرواح الأبرار السابقين فى أغنية حلوة ، شجية ، ترحيباً بدخول الفوج الجديد إلى حقل السلام .. فى فردوس النعيم الأبدىّ .

مارأيك الآن عزيزى القارئ - أليست هذه المحاسبة في العالم الآخر عند قدماء المصريين .. هى نفسها المحاسبة فى الآخرة التى تتحدث عنها الأديان السماوية الثلاثة ؟!

وكيف أنهم وصلوا لأسرارها قبلنا بآلاف السنين ، إن لم يكن لديهم الوازع الدينى الذى فطرهم الله عليه .. والشفافية والنقاء النفسى حتى يصلوا إلى سرالإله الأكبر.. خالق السماوات والأرض

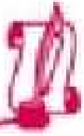
وماحولهما ؟!

الإله إخناتون .. وديانة وحدانية الله

الإله (اختانون) هو الإله المصرى الشاب الفرعونى الذى عرف سر الله وكينونته فآمن به ونصب نفسه خادماً لدينه .. للاله الواحد الأحد الذى لاينازعه فى ملكه أحد من الآلهة ..

وبذلك نصل عزيزى القارئ إلى أهم الديانات المصرية القديمة الاوهى الإعتراف الصحيح بالإله الواحد ـ الأحد.. رب السماوات والأرض .. ورب الخلائق جميعها.. وقد اهتدى إليه الملك الفرعونى (اخناتون) الإله بصفائه النفسى ونظرته الثاقبة فيما وراء الأفق .. وفكره الواسع الصافى حيث وجد ـ رغم أنه الملك الإله .. الحاكم لكل أرجاء مصر القديمة .. أنه ليس إلا عبداً مخلوقاً للإله الواحد ـ الخالق الذى يقطن السماء العالية ويراقب العباد فى كل تصرفاتهم السوية والخاطئة، فيحاسب المخطئ على خطاياه .. ويثيب السوى على حسن أعماله وصالحها ؟!

هذه الأفكار هى التى واتت ـ فرعون مصر الشاب الملك الإله (اخناتون) حيث مال إلى الإيمان بوحدانية الله فزهد الدنيا بزخارفها ومسراتها ومباهجها، وفضل عليها الهدوء والسكينة .. فى مكان آمن بسيط يقيمه هو ورفاقه ـ حيث يعبدون الله بطريقتهم الخاصة والتي كانت غريبة .. وشاذة فى تلك الأيام .. والتى لم تعجب الكهنة والقادة والسحرة فى ذلك الزمان البعيد ؟! لما لها من سلطان على الجميع .. ولأنها تنادي بزوال ملكهم وسلطانهم على الناس ومكانتهم لدى الملوك والأمراء وحظوتهم من الدنيا ومباهج الحياة ، فاستماتوا فى الدفاع عن ملكوتهم وأملاكهم وسلطانهم .. إذا كيف يصبحون هكذا بسطاء



بلاسلطان مثل عامة الشعب العاديين ؟! ويصبحون مثلهم .. مثل المزارعين والصناع والجند.. لامكانة لهم ولاحظ فى المســـرات أو الخيرات التى تنهال عليهم من أفراد الشعب والعطايا التى يحصلون عليها من الحكّام .. والقادة والأمراء ورجال الحاشية والبلاط .. وعلية القوم ؟! (١)

هذا لايمكن أن يحدث .. مستحيل أن نسمح به .

كل هذه الثورة كانت تعتمل فى داخل صدور الكهنة والسحرة من رجال الفرعون الإله (إخناتون) ورجال الحاشية وعلية القوم .. كيف يتساوون بعامة الشعب ؟!

بينما كان الفرعون الإله (إخناتون) الذى تجرد من الملكوت الدنيوى والجاه ـ قد قام بتغيير اسمه من (أمنوحيتب) إلى (إخناتون) وغير اسمه الإله القومى المعبود من (آمون) إلى (آتون) الإله الواحد الأحد .. خالق كل الأشياء والضابط لكل المخلوقات .

وأذاع (إخناتون) ذلك فى قومه ليكون الإله المعبود الواحد وسرعان ما انضم إلى عبادة (إخناتون) الإله الواحد.. الأحد .. معظم الكهنة الشبان من القائمين على أمور الهياكل المصرية فأصبحت المعابد والهياكل المصرية تتردد فيها الأناشيد الرائعة والترانيم الدينية التى تمجد فى الإله وهم يترنمون بقولهم :

ما أعظم أعمالك أيها الإله ..

إنها خافية عن جميع البشر ..

أيها الإله الواحد .. الذى لا إله سواه ..

أنت خلقت الأرض حسب مسرّتك ..

١ ـ راجع تاريخ مصر الفرعونية ـ للأستاذ الدكتور أحمد شلبى ـ لدار المعارف

قد خلقت الجلد البعيد ، لتشرق منه بوجهك ..

لكى ترى عيناك كل ماصنعت يداك ..

الأرض كلها بين يديك ..

لذلك أنت الذى صنعتها ..

فعندما تشرق .. تحيا الخلائق

وعندما تغيب .. نموت .

لأنك أنت مصدر الحياة .. فى الكون ..

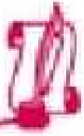
وجميع الناس بك .. يحيون .!

كانت هذه هى ترانيم الكهان الشبان أو العباد الجدد للإله إله الكون .. رب الأرباب .. خالق كل شئ الذى عرفه (اخناتون) وآمن به وتبعه من خلفه جموع غفيرة من أبناء شعبه من كل الطوائف [١] .

وقد أمر الملك الشاب الإله (إخناتون) أن تُمحى أسماء وأشكال آمون وغيره من الآلهة حتى (أوزوريس) نفسه الإله الأعظم .. من سجلات الدولة وأصبح نسياً منسياً لكى يفسح الطريق فى بلاط ملكه للإله الجديد.. والديانة الجديدة .. لربِّ الأرباب .. المعبود الواحد .. الأحد .. !

ومن ثمّ شيد (إخناتون) عاصمة جديدة لملكه فى جنوب طيبة من أجل نشر دينه الجديد وأطلق عليها اسم (أخيناتون) ومعناها : « أفق آتون » ثم أنشأ مدناً جديدة ، لتكون مراكز لهذه العبادة الجديدة .. للإله المعبود الواحد.. الأحد.. فى بلاد النوبة وسوريّة (التى كانت ضمن الامبراطورية المصرية القديمة آنذاك) .

١ ـ من ترانيم صلاة " اخناتون" فى كتاب أديان العالم للقس حبيب سعيد إصدار مطابع الكنيسة الأسقفية بالقاهرة .



لكن الديانة الجديدة للإله (إخناتون) الملك لم يقدر لها البقاء ولا الاستمرار وخاصة بعد وفاة راعيها وحاميها فى البلاد (إخناتون) وعندما خلفه بعد موته ـ على عرش « مصر » زوج ابنته (توت عنخ آمون) الذى استسلم صاغراً لكهنة آمون القديم ـ وقام بتغيير اسمه إلى : (توت عنخ آمون) وهو الاسم الذى عرف به هذا الملك الشاب عبر التاريخ والأزمان وإلى وقتنا هذا .



الفصل الثالث

الديانات القديمة فى أمبراطورية بلاد فارس

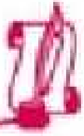
دعنا ننتقل بك عزيزى القارئ ـ من عالم الأديان البدائية والأديان القومية والأساطير القديمة والعقائد التى كانت تخيم على جو بلاد الشرق الأقصى والهند ، لنذهب بك فى جولة سريعة للشرق الأدنى .. مهبط الأديان التوحيدية وموقد الشرارة التى انطلق منها نور معرفة الله الواحد القهار ..!

وسنترك التصوف الذى ينكر كرامة الجسد وتعدد الآلهة والايمان بقوى الطبيعة ، وآلوهية السماء والشمس والقمر ، والبحار والأنهار والغموض ، والابهام فى النظم الاخلاقية لننتقل بك الى الإيمان بآله واحد .. خالق السماوات والأرض ، الذى تربطه بالخلائق ... صلات روحيه شفافه .. وسنبدأ رحلتنا بالديانة الزراد شتيه ـ « ديانه بلاد فارس القديمه .. تلك الأمبراطورية العظيمة التى كان لها شأن عظيم فى التاريخ القديم .

ديانة الفرس ونبيهم " زاد شت " (١)

فى الجزء الغربى من الهضبة الكبرى ... المتدة من نهر الأندوس

١ ـ راجع كتاب "ديانات العالم" للقس حبيب سعيد إصدار الكنيسة الأسقفية بالقاهرة .



في بلاد الهند الى وادى دجله فيما بين النهرين (العراق الآن) ـ وهو الاقليم الذى كان مهد الحضارات الايرانيه منذ أربعة الاف سنة قبل الميلاد .

وفى عام الفين قبل الميلاد ـ هاجر « الآريون » من الشمال زاحفين فى طريقين أحدهما إلي شمال غرب الهند ـ والثانى إلى غرب آسيا ، لكن فريقا ثالثاً استوطن بعد ذلك ايران ـ وهو الاسم الذى اشتق منهم ، وتعرف به هذه البلاد اليوم ـ نسبة إلى سكانها الأوائل .

من هذا الفريق الأخير (الآريين) نشأت الحركة الدينية الاصلاحية والتى تعرف باسم (دين زرادشت) أو « الديانه الزراد شتيه » والتى عاشت فى تلك البقا ع قرابة ٢٥ قرناً من الزمان ولايزال لها اتبا ع حتى الآن .

والحكيم الايرانى المسمى (زرادشت) هو مؤسس الديانة الزراد شتيه التى نسبت اليه واشتق اسمها من اسمه ـ قد ولد فى عام ٦٢٨ قبل الميلاد فى المنطقة التى تعرف الآن باسم شمال ايران .

وفى تلك البلاد التى زحف اليها فريق من أولئك الأريين، اتخذت تلك الشعوب عبادة تعدد الألهة من الطبيعة، وأطلقوا على الآلهة الخاصة بالخير اسم (النجوم اللامعة) وعلى الشياطين لفظ (سادة) ، ولما ظهر زرادشت أراد ادخال الإصلاح على هذه العبادةالتى اعتصم بها بنوجنسه فى الشرق، فأقتنع أنه رسول أهورامازدا AHARAMAZDA الاله الواحد الحكيم ونبذ كل الآلهه التى آمن بها الأريون ، وأبطل أساطيرهم واخضعها كلها للآله الواحد فى صرا ع بين الخير والشر .

وقد بدأ زرادشت في الدعوة لديانته الجديدة وهو شاب، ولمابلغ الأربعين من عمره لقى معارضة هائلة، ولكنه أفلح فى كسب ثقة الملك:

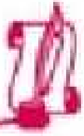
(فيشتاسابا) حاكم شمال ايران وجعله واحداً من أشد المؤيدين له ، وهكذا أصبح الملك صديقه وحاميه .

وتقوم الديانه الزراد شتيه « على مبدأ وحدانية الله » وتعدد الاله ولايوجد الا رب واحد هو (أهورامزدا) ويطلقون عليه بالفارسيه لقب (أورمزدا) ومعناها ـ الاله الحكيم ـ ويؤمن زرادشت » أيضاً بالروح الشريرة ويسميها (انجرامانيو) ويسمونها فى اللغة الفارسيه (اهريمان) وهى تمثل الشر والكذب .. والخداع والصراع الدائم بين قوى الحكمة والشر .. ويظل الصراع قائما بين القوتين عند كل انسان ولاينتصر الخير والحكمة فى النهاية .. إلا بعد الموت .

وتؤمن الديانه الزرادشتيه ـ بالخير وضرورة اتباعه ، ويرفض زرادشت الزهد والامتناع عن الزواج ـ ويؤمن الزراد شتيون ـ ببعض الطقوس مثل تقديس النار ـ والصلاة حولها وأمامها ـ والاحتفاظ بها مشتعلة دائما فى المعابد .. ومن أهم تقاليدهم ـ التخلص من الميت ـ بطريقة عجيبة حيث يضعونه فى مكان مرتفع لتأكله الطيور الجارحة والتى تجرد الجثث من اللحم فى ساعات معدودة ..

وفى عهد الساسانيين ـ المدة من (٢٢٦ ـ٥٦١) ميلادية أصبحت الديانة الزرادشتيه ـ هى الديانه الرسميه فى البلاد .. وبعد الغزو العربى فى القرن السابع الميلادى ـ تحول الكثيرون بالتدريج إلى الاسلام ، وقد هرب الزرادشتيون فى القرن العاشر إلى إيران حيث أقاموا فى جزيرة « هرمز » فى الخليج الفارسى ـ ومنها إتجهوا إلى الهند ، حيث أقاموا لهم مستعمرة صغيرة يطلق على سكانها اسم :

(البارسيون ـ The Parcion) أى الفارسيون ومازالوا يعيشون حتى الآن ؟!. وقد بلغ عددهم مائة ألف فرد ويعيش فى إيران أيضا أكثر من عشرين ألف فرد .



هذا وقــد أثرت الديانة الزرادشــتــيــه ـ فى بعض الديانات مــثل اليهودية والمسيحية ـ أيام غزو الاسكندر الأكبر لبلاد فارس سنة ٣٣١ قبل الميلاد .

وقل لخص المؤرخون تاريخ هذا الحكيم وديانته وحياته وأعماله من مجموعة الأناشيد الموزونه والتى يسمونها (جاشاس ـ Gathas) وهى الأسفار المقدسة التى جمعها فى حياته المريدون من أتباعه ـ ولعل من أهم الكتب المقدسة للديانة الزرادشتيه (كتاب الأفستا المقدس عند اتبا ع زرادشت وكتاب (أجاثاس) وهو الخير والأخير منه وكتاب (الخليقة الأصليه) فى القرن التاسع بعد الميلاد على نظرية قديمة مستقاة من عصر القرن الخامس قبل الميلاد ، والتى تقول : أن الزمن امتداده اثنا عشر ألفاً من الأعوام ـ ينقسم الى فترات أربعة ، مدة كل منها ثلاثة آلاف سنه : فى الفترة الأولى كانت أرواح الأسلاف هى الجنيات الحارسة على الناس والأروا ح ـ وفى الفترة التالية ظهر انسان بدائى وثور بدائى ، وقيل أنه فى هذا العصر ـ صا غ رؤساء الملائكة جسد « زرادشت » على أنه لم يظهر كشخصية تاريخية إلا فى الفترة أو العصر الأخير .

وفى الفترة الثالثة ـ تسلطت قوى الشر وخلفت جدود الإنسان وأسلافه الذين تحدر منهم مؤسسو الأسرة الايرانية .. أما الفترة الرابعة والآخيرة فهى التى أستهلت بإنشاء دين زرادشت ـ وهى لم تبلغ بعد ذروتها النهائيه ـ « والديانه الزرادشتيه تقوم على وحدانية الله وتعدد الآلهة ، وأن هذا الإله هو خالق الكون ، وسند الخير والصواب وقد صنع تحت إمرته خلائق آلهيه ، أوصفات مجسمه له أسماها « الفكر الخير » ، « والبر » ، والفلاح والتفكير الصائب المشفق » ـ و« الخلود » ـ وهناك أيضا روح الخير ـ وهو فى صرا ع مع روح الكذب والشر، وهذان التوأمان ـ روح الخير، وروح الشر لم

يخلفهما (أهورامازدا) وإن كانا يلتقيان فيه . »

ويأتى بعد زرادشت ـ ثلاثة من المخلصين يظهر كل منهم فترة مداها ألف عام وأخر الثلاثة هو (المسيا) يولد بطريقة معجزه من عذراء طاهرة من بذرة « زارادشت » المحفوظه لهذا الغرض فى بحيرة، وظهوره إيذان بأنتظام عالم جديد ومجيد .. وعند ذلك يقوم الموتى من قبورهم ، وفى يوم الدينونه الأخير ، يفوز الأبرار عن الأشرار تمهيداً لسكب معدن مذاب بالنار على الأرض وفى جهنم .

أما الأبرار فسيكون هذا المعدن المذاب برداً و،سلاماً (حليباً دافئا) وأما الأشرار فسيكون عذاباً أليما ـ يحرق كل الشرور التى أرتكبوها .

وأما (اهريمان) آله الشرور بانيته وأبالسته ، فسيلقون فى اللهب لافنائهم أو بطرحهم فى الظلمة الخارجية لاخفائهم عن الأنظار أو تدميرهم فى الختام .

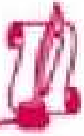
وبعد ذلك تخلق أرض جديدة وسماء جديدة ، يسودها الى الأبد ـ الفرح والبر والسلام ويصبح (أهوراوازدا) الكل فى الكل . [(١)]

الديانة المانيشية

الديانة المانيشية ـ أسسها فى القرن الثالث الميلادى ـ الحكيم (مانى) ، وقد نشأت هذه الديانة فى الشرق الأوسط وانتشرت غرباً حتى المحيط الأطلسى ، ورغم أن هذا الدين لم يعد له وجود الآن ؟! إلا أنه كان له اتباع كثيرون وظل منتشراً لأكثر من ألف عام .

(والديانة المانيشية) ـ هى عبارة عن خليط من الأفكار الدينيه للديانات القديمه (البوذية والزرادشتيه) ، فإن الديانة الزرادشتيه

١ ـ راجع كتاب العظماء مائه(لمايكل هارت) ترجمة أنيس منصور ـ دارفرانكلين للطباعة والنشر بروكلين/القاهرة كتاب أديان العالم للقس حبيب سعيد إصدار الكنيسة الأسقفية



كانت أكثر تأثيرا عليها وكان من رأى (مانى) {أنه لايوجد آله واحد، وانما هو صراع مستمر بين اثنين من الآلهة ـ أحدهما هو الظلام الذى يشمل قوة الشر، والآله الآخر هو النور والروح وهو قوة الخير}.

وهو قريب من معنى الخير والشر فى الديانه المسيحية .

وعلى ذلك فمادامت قوى الشر مساوية للخير تماما فلا توجد مشكلة ولكن كيف يكون الله خيراً مطلقاً ، وفى نفس الوقت يخلق الشر أويسمح بوجوده ؟! لكن «الديانه المانيشيه » ـ كانت تنادى بأن : (الشر والخير تؤامان ولدا معاً ليتصارعا معاً والى الأبد ومادام الخير والشر مثلا متلازمين في الجسم البشرى ، تلازم الروح والجسم فلا يصح أن يساعد الانسان على أن يتكاثر لأن التكفؤ معناه : « اضافة أجسام أخرى أخرى وأرواح أخرى » ـ ولذلك حرم «مانى» العلاقات الجنسيه بين الرجل اوالمرأة وحرم أكل اللحوم وشرب النبيذ » .

ونظرا لغرابة وصعوبة هذه المعتقدات، فقد كان من الصعب على عامة الناس أن يؤمنوا بهذه الديانة ، انما يؤمن بها (الصفوة) أما المؤمنون العاديون ويسمونهم (المستمعون) فلهم عشيقات وهؤلاء العشيقات يطلبن الجنس والطعام والشراب . وأعلى فئة فى هذه الديانة المانيشيه « هم الرهبان ، والكهنه ـ وهؤلاء ممنوعون من الزواج وأكل اللحوم وشرب النبيذ كلية » .

إما الجنة فهى من نصيب هؤلاء « الصفوة » ؟! وأما «المستمعون » فمن الممكن دخولهم الجنه ولكن بعد طول عناء .. وتكفير عن الذنوب ، وأنواع شتى » من المجاهدات النفسيه .

وقد ولد «مانى» فى العراق سنة ٢١٦ميلادية ـ والتى كانت آنذاك جزءاً من الامبراطورية الفارسيه وأصله فارسى وينحدر من الأسرة المالكة أيضا» ورغم ان معظم الفارسيين فى زمانه كانوا يؤمنون

بزرادشت « والديانة الزرادشتيه » إلا أن مانى ـ نشأ فى أسرة مسيحيه وكانت تلك الفترة هي البداية لقيامه آنذاك بالتبشير بالديانة الجديدة ؟ لكنه لم يوفق فى أول الأمر فى بلده ؟!

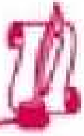
وقد رحل «مانى» الى الهند بدينه الجديد ـ عسى أن يضم اليه مؤمنين جدد، وهناك حالفه الحظ فى جعل أحد الحكام الهنود يؤمن به وبديانته الجديده .. وعاد إلى بلاده فارس حيث اجتمع بالملك (شابور الأول) الذى استمع اليه جيداً وتأثر به الى حد كبير ، رغم أنه لم يؤمن بديانته الجديدة ، إلا أنه سمح له بالدعوة للدين الجديد فى الامبراطورية الفارسيه ـ والتى كانت تسمى وقتها : (الامبراطورية الساسانيه) .

وقد ظل « مانى » يدعو لدينه الجديد قرابة ثلاثين عاماً وأرسل مبعوثين كثيرين لعديد من البلاد للدعوة لديانته الجديدة ، مما أثار عليه كهنة الديانه الزرادشتيه » والتى كانت وقتها ـ الدين الرسمى للأمبراطورية الفارسيه .

وقد ألف « مانى » كتبه الدينيه باللغه الفارسيه ـ ثم باللغة السيريانيه وبعد انقراض هذه الديانه تلاشت معها هذه الكتب ، وإن كان قد عثر على بعضها بواسطة بعض الأثريين فيما بعد !

وقد نجحت هذه الديانة فى الانتشار غرباً حتى أسبانيا وشرقاً حتى الصين .. هذا وقد بلغت «الديانه المانيشيه » ذروتها فى القرن الرابع ونافست الديانه المسيحيه ـ لدرجة أن القديس (أوغسطين) نفسه ظل مؤمنا بها لمدة تسعة أعوام .

وبعد أن أصبحت المسيحية هى الديانه الرسمية للامبراطورية الرومانيه تلقت ديانه «مانى» ضربات عنيفة وطرد المؤمنون بها وعذبوا تعذيبا شديدا حتى الموت .



وعندما جاءت سنة ٦٠٠ميلادية كانت المانيشية قد انحسرت تماماً من اوربا الغربية عندما تمكن البابا (البرى الثالث) من شن هجوم لحرب صليبيه على المانشيين منذ عام ١٢٠٩ حتى عام ١٢٤٤ميلاديه - حيث سحقها تماما ولم يتبق من أتباع هذه الديانه المانيشية .. أحد على قيد الحياة ؟!



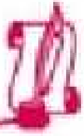
الفصل الرابع

الديانات القديمة فى مملكة بابل القديمة ..!

ساعدت ظروف مملكة بابل الجغرافيه (مابين النهرين) وخصوبة تربتها وسهولها الواسعة المفتوحة على حدود البلدان المجاورة لها بلا حواجز ولاموانع طبيعيه أو صناعيه - على جعلها أرضاً مفتوحة للغزو، ولقمة سائغه للطامعين من كل فج .، وكان شعبها يعرف أن حياته مهددة دائما وعرضة للغزاة والطامعين ، مما جعلهم يحاولون الحصول على كل مايمكنهم من ملذات وملاهى فى نهم وعلى عجل دون تروٍ .

هكذا كان حال مملكة بابل القديمة أو حضارة مابين النهرين فى الزمن القديم ، حيث كان يعيش على أرضها وتحت سمائها أكثر من أربعة آلاف إله مثل كل منهم جزءا فى الطبيعة - السماء والهواء والأرض، - والمياه - والشمس والقمر . وأصبحت كل مجموعة منها مسئولة عن منطقة معينة أو مدينة كاملة بذاتها لاينازعها فيها أحد.. !

وبمرور الوقت ظهرت معبودة رئيسية لكل البلاد وهى الآلهة الأم ، رغم انها عذراء بكر تدعى (عشتار) واختصت نفسها بعدة وظائف وهى آلهة الخصب والخصوبة للأمهات والزروع والنباتات ، وأيضا كوكباً للزهرة وتسمى (ملكات السموات والنجوم فقامت بالاتصال باله



الشـمس ويقظة الربيع » المدعو (تموز) حيث جعلت من نفسـها محبوبة بما لديها من سلطة وحق .. وقد كان مقدرا أن تنتشر عبادة (الآلهة عشتار) الى القرب حيث فلسطين ومصر، لدرجة أن اتباع «زرادشت» لم يقووا على مقاومة نفوذها بعد تغيير اسمها الى (أنا هيثا) - أى الطاهرة .. وجعلوا لها نفوذا يماثل نفوذ الآله الأعظم (أورمازدا) فى بلاد فارس .

وقد كان المنافس الأوحد والأقوى للآلهة (عشتار) آله يدعى (ماردوخ) فى المدة من (٢٠٦٧ - ٢٠٢٥) قبل الميلاد .. ومع امتداد حجم مملكة بابل ازداد نفوذ (الآله ماردوخ) الذى قفز الى مرتبة العظمة أيضاً وامتص نفوذ جميع الآلهة المحيطة به فسلبها قوتها وحكمتها حتى أصبح هو وحده : « رب السموات والأرض » .

وتحكى الأساطير البابلية القديمه للسوميريين - « سكان بابل القدامى » والاوائل - قصص خلق آلهتهم (ماردوخ) والآلهة (عشتار) حيث تحكى اسطورة الخلق قصة حياة (ماردوخ) .

قصة الخليقة .. للآله ماردوخ

(تقول الأسطورة السومرية القديمة - أن نظام العالم الحاضر نشأ فى الأصل عن نزاع بين آلهة الشر والفوضى ، وآلهة النور والنظام ، ولكن الكهنه البابليين أعادوا كتابة المواد التى ورثوها وجعلوا «ماردوخ » بطل النزاع ضد آلهة الفوضى وخالق العالم والانسان .. وبعد أن رووا قصة مطولة عن هذا النزاع ، ذكروا فيها أسماء الآلهة المتنازعين ، وانتهوا الى أن « مردوخ » أمسك بزعيمة الآلهة - (تيامات) وشقها نصفين .

وقد خلق بأحد النصفين القبة التى تمسك بالمياه فوق السموات

وخلق بالنصف الآخر - الغطاء المعلق فوق المياه تحت الأرض .. ثم أنشأ محطات للآلهة فى السموات ، وخلق الانسان من دم أحد الآلهة الذين صرعهم .. ومن ثم صار (ماردوخ) رب الأرباب وسيد الآلهة) .

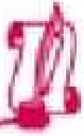
قصة نزول الآلهة « عشتار» إلى أرض الدنيا

(تقول الأسطورة السوميرية القديمة - الآلهة (عشتار) هبطت الى الهاوية لتنقذ حبيبها (تموز) الذى كان قد مات وهو (آله الشمس والربيع) الذى يخفت نشاطه عادة فى فصل الخريف . وإذ تقف عند الباب تأمر آلهة الموتى أن يفتح لها ، ولكن إذ تجوز الأبواب السبعه يأخذ منها البواب عند كل باب قطعة من ثيابها - لتدخل الدائرة الداخلية للعالم السفلى - عارية تماماً .. وهناك تبقى فترة من الزمن تتجرع فيها غصص الآلم لأن الوباء يصيبها بستين مرضا على التوالى ، وفى الوقت عينه يصاب الناس والحيوان فى العالم العلوى - بجدب وعقم - ويهجر الحب والخصب الأرضى فتغضب الآلهة الأخرى ، وتبعث برسول إلى الهاوية .

وتأمر آلهة الموت، وهى مكرهة أحد أعوانها أن يرش ماء الحياة على (عشتار) فتعود الى الصحو والأزدهار - وتبدأ رحلتها إلى العالم الأعلى .. وفى طريق عودتها تسترجع عند كل باب قطعة من الثياب التى أخذت سابقا منها) .

وهكذا كان السومريون الأوائل يعللون اختفاء آلهة الخصب والحب (عشتار) عند حلول فصل الشتاء وعودتها في فصل الربيع .

هذا وقد انتشرت فى مملكة بابل - أعمال التنجيم والعرافه وكانت العرافة من أهم وظائف الكهنه حيث تخصص بعضهم فى تأويل



الأحلام والحوادث ، بينما برز الآخرون فى التنجيم والسحر عن طريق الأجرام السماوية والكواكب .

وكان البابليون لكى يضمنوا لأنفسهم الحياة الحلوة والنعيم المقيم يسارعون بتقديم الذبائح للكهنه والآلهة ، وطلب التعاويذ والرقى والأدعيه وقراءة النجوم ، وكانت أدعيتهم مطولة عذبة تطرب لها الآلهة وأحيانا تكون قوية وآمرة لاخضاع الأرواح الشريرة واخراجها من جسد الطالب الذى كان يغدق بالمال الوفير على الكهنه فى معابد الآلهة (عشتارون) لكسب رضاهم، لكى يزيدوا له فى الدعاء والتضرع لدى الآلهة لكى ترضى عنه فترد عن جسمه الأرواح الشريرة .

أسطورة الطوفان .. فى الديانات البابليه

جاءت قصة الطوفان فى الأساطيرالسوميريه والتى كانت سببها الاختبارات المريرة التى تعرض لها الناس من الفيضانات الكاسحة لمنطقة الأنهار ـ لنهرى دجلة والفرات (وتقول الأسطوره أن الآلهة استشاطت غضباً وحنقاً وقررت أن تعاقب الإنسان على شره وقساوته باغراقه بالطوفان .. على أنها كشفت عن هذه السر الى رجل واحد ـ فأبتنى لنفسه فلكاً (١) ويقول الرجل فى قصته : « أدخلت إلى الفلك اسرتى وأهل بيتى ، ومواشى الحقل والوحوش ، وعددا من الصناع المهرة . ولما أنزل رب الظلمه مطراً غزيراً أغلقت باب الفلك ، وراحت تزأر الرعود وتبرق البروق وأظلم الأفق بغمامات سوداء وأستمرتهطال المطر حتى غطى وجه الأرض .

فخافت الآلهة وتسلقت الجبال وصرخت (عشتار) كامرأة تعانى أوجاع المخاض .. ولما اقترب اليوم السابع هدأت العاصفة وكف

١ ـ فلكاً : سفينه

المطر وأمسى كل الناس طيناً ، ففتحت النافذة وأبصرت النور ، ثم جثوت وبكيت وسالت الدموع علي وجنتى ، ونظرت إلى الأرض كلها فإذا هى بحر طام .

وبعد اثنى عشر يوما ظهرت اليابسه ، واستقر الفلك على الجبل ، فأرسلت حمامة طارت هنا وهناك، ولما لم تجد مستقراً عادت إلى الفلك .. وبعدها أرسلت سنونو . فعادت أيضا لأنها لم تجد مستقراً.

وبعد ذلك أرسلت غراباً ... فلم يعد وسارعت الى تقديم ذبيحة شكر على قمة الجبل) .. انتهت الاسطورة

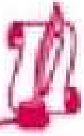
ولو دققنا عزيزى القارئ .. فى هذه الاسطورة ـ لوجدنا أنها نفس حكاية الفلك المشحون الذي صنعه سيدنا نوح (عليه السلام) منذ عدة آلاف من السنين ، حينما أمره الرب تبارك وتعالى بصنعه على عينيه وبوحيه .. تحت ناظريه وبتوجيهه الكريم .

الديانات القديمه .. فى بلاد اليونان

تعددت الآلهة فى اليونان القديم كما صورها ببراعة الشاعر الأغريقى العظيم (هوميروس) فى رائعته (الالياذه والأوديسا) حين صور الآلهة ببراعة وعظمة ـ حينما كانت تعيش معظمها فى المقر الرسمى لها وهو (الاكروبول) فوق قمة جبل الأوليمب .

وتحكى الأسطورة الشعرية « الالياذه والأوديسا » ـ قصة وجود الآلهة ، وأسمائهم حيث تجد ملك الجو وصانع الأمطار الأله (زيوس) وهو نفسه عند الرومان والمسمى لديهم (جوبيتر) وكان أكبر الآلهة وأجلها شأناً .

وقد وفد من خارج اليونان وسلب سلطة الآلهة المحلية المتعددة



هناك وقام باخضاعها لنفوذه وسلطانه ـ ليكون هو وحده الحاكم الآمر الناهى الذى لاينازع فيما يفعل ؟!.

ولاننسى زوجته الجميله الرائعة الحسن ذات الذراع الأبيض (الآلهة هيرا) وأيضا ابنتها الأميرة المحبوبة الرائعة الجمال .. ذات العيون الرمادية الواسعة (الآلهة أثينا) .

ثم يأتى بعدها فى المحبه والمركز الآله (أبوللوا) الابن المدلل الذى يبرئ من الأمراض ويؤذى إذا غضب على أحد الناس .. والابنه الخجوله التى كثيرا ماتتوارى عن أعين الناس .. فتختفى فى شعاب الجبال والهضاب ـ والالهة ارطاميس « الابن الشجاع القوى تحطم التروس والمحارب الصنديد (الآله الشاب (أريس) من أبناء الآله الأكبر رب الأرباب (زيوس) .

ثم أروعهم فتنه وأبدعهم جمالاً وسحراً ألهة الحب والجمال الالهة آفروديت ابنة (الآله زيوس) من زوجته المحبوبه (ديون) ، والتى تزوجت من أخيها لأبيها ـ إله النار والحديد والأعرج ـ وابن الآله الأكبر (زيوس) من زوجته الآلهة (هيرا) ـ والتي خانته وعشقت (الآله اريس) ابن الآله الأكبر القوى (زيوس) .

ونجد أيضا الآله (ديونسيوس) ابن الآله الاكبر (زيوس) من زوجته (الآلهة سميل) ـ كما نجد أهم هذه الآلهة جميعا من حيث المهام الحرجه (الآله هرميس) المرشد السماوى الرابض فوق قمة جبل الأوليمب الشهير ـ والذى جاء نتيجة لثمرة الحب التى جمعت بين الآله الأكبر والآلهة (ماية) .

ويعتبر الآله (هرميس) رسول الآلهة جميعا ، ورغم ذلك فهو حاد الذكاء .. شديد المكر والدهاء .. لايتورع عن التواطؤ مع اللصوص وقطاع الطرق فى الجبال ـ عندما يخلو لنفسه ، كما يفعل عادة عند

مغادرته لموقعه فوق جبل الأوليمب الشهير، لارشاد الأنفس من الهاوية واليها .

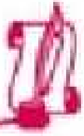
كما لاننسى أيضا اله البحر المسمى (بوسيدون) وآله العالم السفلى المعروف باسم (هيدوس) والأثنان أخوة أشقاء للآله الأكبر (زيوس) . وبذلك نكون عزيزى القارئ ـ قد سردنا أسماء جميع أفراد أسرة الآلهة بالأغريق ـ كما جاءت فى رائعة الشاعر المبدع الخالد (هوميروس) والمسماة (بالالياذة والأديسا) .

وقد كان لهذه الآلهة قديما ـ سلطة عظمى على حياة البشر من الأغريق .. فى الخير والشر على السواء، حيث أنها كانت تسقط المدن وتميت الناس وتهزم الجيوش بأرادتها وحدها. .وقد أردك الناس ذلك وعرفوا سر عظمتها من هذه الناحيه ، فأخذوا فى القيام بالطقوس الخاصه بهم من تقديم الذبائح التقليدية فى كل مناسبة تقرباً إليهم واتقاء لغضبهم وبطشهم عليهم إذا ماغضبت هذه الآلهة ؟!

ومع ذلك فإن قوة الآلهة كانت محدودة الى حد كبير ، وكان هناك أقوى من الآله (زيوس) ـ أى قوة القضاء والقدر التى لاترحم ! وهذه القوى لاتقف وحدها ، بل تعمل معها قوى خفية غامضة .. ألا وهى (الحماقة العمياء ـ الرعب ـ النزاع ـ الفوضى ـ الاشاعات والموت) .

فالآلهة وان كانت قويه ـ إلا أنها محتواه فى نطاق الطبيعه الأم الكبرى وليست قواها بلا حدود حتى وأن كانت هى نفسها مخلوقات فائقه للطبيعه إلا أنها بالنسبه للطبيعه الأم .. شئ لايذكر ..

وقد اختلفت الرؤيا عند الفلاسفة الاغريق عن كنية هذه الآلهه وذهبوا أبعد مما ذهب بهم (هوميروس) شاعر الأغريق العظيم وصاحب (الالياذة والأوديسا).. وقد بدأت هذه الفلسفة اليونانية



بنظرية وحدة الكون - أى ان كل شئ فى الكون - فى وضع ما أو آخر - من عنصر واحد . وقد قال بعضهم أن هذا العنصر هو (الماء) .

« وقال آخرون أنه « الهواء » وقال غيرهم (أنه النار) » .

ومهما يكن من اختلاف فى الرأى ، فقد اتفق الجميع على أن هذا العنصر يتضمن (قوة الابداع الآلهية)، أما الفيلسوف العظيم (زيتوفانش) فقد قال أكثر من هذا حيث قال : (ان القوة الخلاقة هى :

«آله واحد أعظم من جميع الآلهة والناس ،لايحاكى الانسان الفانى ، لافى شكله ، ولافى عقله - يرى كل شئ ، ويعرف كل شى ، ويسمع كل شئ .. ولكن الناس أرادوا أن يروه على شاكلتهم ، فصنعوا له أجساما بشرية »)

وقد توصل فيلسوف الأغريق العظيم وأعظم فلاسفة الدنيا - قديماً (أرسطو) الى أن (الآلهة كلها مسئولة أمام قوة عليا ومعتمدة عليها فى آداء وظائفها وأن فوقها .. ووراء كل المخلوقات والأشياء .. خالقاً صانعاً إتصف بكل القيم والكمالات الساميه - هو الخير ذاته الذى عرف به منذ البدء - بالمثل العليا!)

وقد جعل (أفلاطون) فيلسوف الأغريق العظيم فى تأملاته الفلسفية : (أن الله هو (الخير الأسمى) ولم يجد فى مطارحاته الفلسفية ضرورة لآلهة اليونان التقليدية - ولكنه فى تفكيره عن الكائن الأسمى جعل الله - هو : «المحرك الأول » - أى محرك كل الأجسام فى السماء وعلى الأرض ، ويجذبها إلى نفسه ، وهو ثابت لايتحرك) .

وبذلك نكون عزيزى القارئ - قد وصلنا إلى نهاية الديانات القديمة والمعتقدات والأساطير الدينيه فى بلاد الاغريق القديمة .

الديانات القديمه .. فى الإمبراطورية الرومانية

لم تعرف الديانات الرومانيه القديمه أساطير عن الآلهة ، ولامن أين جاءت ؟ ولاكيف جاءت . ولم يكن بين تلك الآلهة تزاوج ولم تلد أنسالاً.. كما لم يرسموا لهم صوراً ولم يصنعوا تماثيلاً ولم يخلعوا عليها شخصيات معينه بعد أن تلقنوا ذلك من الأغريق مؤخراً .

ولقد كان للرومان قديما أعياد واحتفالات عديدة وصلت لعدد « مائه وأربعة أعياد » فى العام ـ كانت تجرى فيها مواسم معينه تقدم فيها الذبائح والقربان . ولو سألنا أنفسنا عزيزى القارئ ـ ترى كم عدد الآلهة التى لها كل هذه الكم من الاحتفالات التى تقام سنويا ؟!.

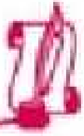
لعلمنا أن هذه الآلهة القومية يبلغ عددها ـ ستة وثلاثين آلهاً ، سنذكر لك أهمها وأشهرها ، ونبذة عن كل منهم طبقا للأساطير القديمة التى تحكى قصصاً وروايات لحياتهم وسلوكياتهم فى الأمبراطورية الرومانية فى العصور القديمه وهى كالتالى : ـ

(يانوس ـ جوبيتر ـ مارس ـ نبتون ـ فينوس ـ أبوللو ـ منيرفا ـ ميركورى)

وسنحاول هنا عزيزى القارئ ـ أن نلقى بعض الضوء على أشهر آلهة الرومان فى العصور القديمة .

(١) الآله جوبيتر

(الآله جوبيتر) هو نفسه (الآله زيوس) عند الإغريق وغير معروف أصله التاريخى، وكل مايقال عنه أنه قد جاء لإيطاليا ـ من فوق جبل أو من فوق الجبال الشاهقه التي تحدها، كما فعل فى بلاد اليونان (الاغريق) وامتص خواص ووظائف الآلهة المحلية الأخرى ـ لينفرد هو



بالسلطة وأصبح آله الرعد والبرق والمطر ، كما كان من قبل آله النور أيضاً .

وكانت أيام اكتمال البدر مقدسة له ـ وهو الذى قدر مصائر الناس وقدم لهم إيماءات من نور للدلالة على أحداث المستقبل بعلامات فى السماء ، وطيران الطيور .. وكان البرق فى يده كسلاح ردع وتأديب وانتقام من الأشرار ، بحكم كونه قيماً على شرائع السماء ، وشرائع الدولة وأحكام العدل .

وقد صنع له الرومان هيكلاً فوق الكابيتول. كما جعلوه فى العصور المتأخرة ـ حارسا لروميه فكان له نصيب فى الأمجاد الامبراطورية التى إعتزت بها المدينه .. كما خلعوا عليه ألقابا تدل على العظمه والنصر والقوه .

وكان الولاة وحكام الأقاليم يتعبدون له ـ قبل قيامهم بمباشرة وظائفهم وكانت مواكب النصر، يتقدمها قادة الجيوش فى أروع المواكب بعد عودتهم منتصرين حيث يهتف الجنود بأصوات كالرعد وهم يحملون الغنائم والأسرى، لتقديمها لهيكل الآله (جوبيتر).

(٢) « الاله مارس »

الآله مارس ـ هو آله الحرب عند الرومان، وكان فى الأصل ـ حامى الحقول والقطعان من القوى المعادية من اللصوص والحيوانات المفترسة، ولكنه اقترن بالحرب وتغيرت طبيعته بعد امتداد الامبراطورية الرومانية .

وقد ترك أحد الفنانين القدامى ، رسماً له مبينا فيه (مواكب فلاح وأسرته يدور حول تخوم مزرعته ثلاث مرات ومعه خنزير وخروف وثور) .

وهى الضحايا التى كان يقدمها للآله مقترنه بسكاتب من الخمر وأوعية فى ذلة واتضاع ..!

وبعد أن صار الها للحروب والدمار ... شيد له الرومان مذبحا فى وسط مدينة روميه ـ برموزه المقدسه (الرمح والترس) وبجواره حيوانه المقدس (الذئب) وبعض صغار الآلهة من خدمه وعبيده .

(٣) الاله يانوس

الآله يانوس ـ هو حارس البوابات .. والذى يطلب لفتح الرزق أو الأعمال أو المشاريع لأن كل عمل له بدايات ـ وبدايته الساعات الأولى فى اليوم الأول من الشهر ـ أو الشهر الأول من العام .

ولذلك سمى الشهر الأول من السنه على أسمه (يناير ـ January) أما شعاره الأصلى فى رومية فكان (باباً) لاغير أقيم عند الزاوية الشمالية الشرقيه .. فى الساحة الكبرى بالمدينة .



الفصل الخامس

الديانات القديمة فى الشرق الأقصى (اليابان وكوريا)

الديانات القديمه فى دول الشرق الأقصى وبخاصة فى اليابان لها تقاليد معينة ترتبط فى جوهرها بالعقائد المنظمه للدين القومى فى اليابان والذى نشأ عن سلوكيات من الوفاء والحب والاخلاص .. والولاء الشديد لشخص الامبراطور وتقديسه ..!

ويرجع هذا الحب اليابانيين الشديد لوطنهم ولكل قطعة فيه .. يحبون جزره .. ومعابده .. وبحاره ... وبراكينه ، ويعتبرون أن دماء آبائهم وأجدادهم قد انغمست فى تراب هذا الوطن .. فأصبح ترابه مقدساً .. معبودا لايجوز مطلقاً التفريط فى حبات ترابه .. ولو حتى بالموت ؟!

ولو عدنا إلى الماضى البعيد .. فسوف نجد أن اليابانيين كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً أن بلادهم « آلهيه » .. ضمتها الآلهة وأسبغت عليها فضلاً ونعماً لم تمنحها لغيرها فى بلاد العالم الأخرى (١) .

تعالى بنا عزيزى القارئ ـ نستعرض معاً ... الديانات القديمه فى اليابان .

---

١ ـ راجع كتاب أديان العالم للقس الأستاذ حبيب سعيد ـ إصدار دار النشر والطبع التابعة للكنيسة الأسقفية (مصر) .

الشنتو .. دين اليابان القديم

«الشـنتـو» ـ هـى الـديانه اليـابانيـه القـديمه .. فكلمـة (شنتـو) معناها « طريق الآلهة » وقد دون التاريخ أسطورة خيالية شيقه عن أصل اليابان وأساس شعبها والأسرة المالكة..الحاكمة فيها فى أسطورة يرجع تاريخها للقرن الثامن قبل الميلاد ـ وتقول الأسطورة :

(أن الجزر اليابانيه من صنع الآلهة .. فبعد الفوضى التى سادت الكون وفى سير الحوادث التى فصلت السماء عن الماء ـ ظهرت عدة آلهة فى الضباب ثم اختفت ، حتى ظهرت في المشهد الكون على هيئة آلهين (ذكر وأنثى) وهما اللذان خلقا الجزر اليابانيه وسكانها واسم الآله الذكر كان :

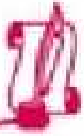
(ايزانجى ـ Izangi) واسم الآلهـة الانثى (ايزانامى ـ Izanami) وقد تلقيا الأوامر من شركائهما فى السماء لصنع الجزر اليابانيه .

ثم هبطا من السماء فوق قوس قزح ، ولما بلغا المنطقة السفلى ، غرس الآله الذكر رمحه المرصع بالجواهر فى الحمأة الملحة ، وحركه حتى صارت لزجه ، ثم سحب الرمح بكمية من الطين فصنع منها احدى الجزر اليابانيه .

ثم استقر الآله وزوجته على الجزيرة ، وولد من رحمهما الجزر الثمانى الأخرى التى تكون بلاد اليابان ـ وبعد ذلك ولد باكورة سكان هذه الجزر وهم خمسة وثلاثون آلها من الآلهة الصغار .

ولكن حدث أن آخرهم أحرق أمه عند ولادته ، فأغتاظ الإله (ايزانجى ـ Izangi) الولد وضربه بالسيف ضربات خلفت آلهة اخرى تطير فى الفضاء الكونى على حال من الفوضى .

والذى حدث فى إيجاز شديد ـ بعد ذلك ـ أن الآله خلق أعظم آلهة اليابان وهو (آلهة الشمس ـ Amatarasu) وكانت هذه أكرم المخلوقات



جميعاً، ثم خلق بعد ذلك آلهة القمر من عينه ، وبعدها خلق آله العاصفة من منخريه .

وبعد مضى زمن أطلت آلهة الشمس من السماء ، واضطربت للفوضى الضاربه أطنابها فى البلاد وكان آله العاصفه ـ هو الحاكم عليها ، فأقصته وأرسلت حفيدها ليحكم الجزر اليابانيه بالنيابة عنها ـ ومن هذا الحفيد تسلسل ـ « أباطرة اليابان » ـ ولذلك سمى الأمبراطور ، إلى ماقبل هزيمة اليابان ـ « ابن السماء » ـ الذى انحدر من آلهة الشمس وهو يحكم شعباً من سلالة الآلهة أيضاً)

تلك كانت اسطورة خلق اليابان وجزرها على الأرض ..!

وقد ذخرت اليابان قديما ـ بعدد هائل من الألهة ذكوراً وأناثاً بلغ عدة آلاف نظرا لأن اليابانيين قديما ـ كانوا يرون آلهاً فى كل قوة ، وفى كل شئ مادى حتى سميت بلادهم (أرض الآلهة) من كثرتهم على أرضها ، لكن الآلهة الشمس كانت لها الصدارة منهم ، فأقيمت لها الكرامة والصدارة فى أروع المعابد والهياكل .

ولو عدنا الى الوراء عزيزى القارئ ـ لنعرف أصل اليابانيين القدامى نجد أنهم كانوا مجموعات مختلفة من الكوريين والمنغوليين وبعض قبائل سكان جزر الملايو،هذا وقد قدم الأسلاف من جزر الباسفيك الجنوبيه فطردوا السكان الأصليين شمالاً واستوطنوا البلاد

وكانوا يعيشون فى قبائل ، لكل قبيله تقاليدها وعبادتها الخاصة مثل الجماعات الفطريه ـ حيث كان الثعلب يعبد كرسول للآلهة فى بعض القبائل ، كما كان المحاربون وحملة السلاح هم أرقى الناس بينهم ـ وقد عشق اليابانيون رغم بدائيتهم ـ النظافة الشديدة فى كل شئ حتى أصبحت سمة مميزة لهم فى العصر الحديث ، وكان اليابانيون القدامى ـ يعتقدون أن لمس الميت يصيبهم بالنجاسة فلابد

أن يتطهروا فوراً (وهذه العادة آمن بها اليهود أيضا فى العهد القديم) .

لذلك كان أهل الميت فى اليابان يقيمون الجنازة فوراً بعد الوفاة - ثم بعد انقضاء - « حداد الأيام العشرة » - يقومون بالاغتسال للتطهير .. وفى بعض الأحيان كانوا يهجرون الدار القديمة التى مات فيها المتوفى ويسكنون غيرها .. وقد سببت هذه العادة مشاكل عديدة عند تنصيب الأمبراطور وخلفه بآخر جديد .

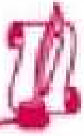
ونعود من جديد - عزيزى القارئ - لأستكمال « الديانه الشنتويه » والتى كانت تشمل معانى الوطنيه المتطرفه والولاء المطلق للامبراطورية - وليس لأى آثار فى الحياة وسلوكياتها لدى البشر .

(والديانة الشنتويه - Shintoism) - هى نوع من الثقافة القديمه المشتقه من عصور الأساطير العريقه فى القدم - وهى اليوم الاداة المختارة للتعبير عن الروح القديمه والقوميه الحية.. فى بلاد اليابان .

وهناك أيضا البوذية المأخوذة عن الهند، وإن تكن قد اصطبغت بألوان ومميزات جعلتها بوذيه يابانيه، أو بوذية شرقيه على حد قولهم)

«والديانه الشنتويه» - لاتنتسب إلى مؤسس معين لها مثل الديانات البوذية والكونفوشيوسيه » - لكنها كانت فى مراحلها الأولى : نوعا من عبادة الأرواح ثم اختفت مع تطور الدين - هذه الخواص الفطريه - والتى ظهرت فى أطوارها الأولى .. وان ظل الكثير منها مازال متوغلاً فى الشعور الدينى للشعب اليابانى .

والتعاويذ الخشبيه والورقيه التى تعلق فوق أبواب المنازل وقطع القماش التى ترفرف فوق الآبار أو الأشجار - وحبال القش التى تتدلى فوق أبواب الهياكل والمعابد - ماهى - إلا العلامات المتبقيه لعبادة الأرواح التى كان مفروضاً على الأهالى استرضاؤها، والتى



تلقتها اليابان الحديثه من تاريخها القديم .

ونجد أيضا من تعاليم « الديانه الشنتويه » ـ عبادة الطبيعة وخصوصاً قوى الطبيعه ـ المنتجة .. وهى من أساسيات الأديان الفطريه الأولى .

كما نجد توقيرا خاصا للآلهة في اليابان وخاصة آلهة الشمس التى يطلقون عليها لفظ ـ (Amaterasu) ومن ألهتهم الآله (إنارى ـ Inari) آله الأرز الذى تكثر معابده فى الأقاليم التى تنبت الأرز بكثرة فى بلاد اليابان .

ولعله من أهم تعاليم الديانه الشنتويه قولها : أن الدنس مصيبة والرجس خطّية والطهارة الجسدية هى على الأقل قداسة . وكل شئ يدنس الجسد أو الثياب مستقبح ممجوج » ـ كما انهم يطلقون لفظ (كامى ـ Kami) على كل آله أو شئ يسمو فوق الفرد كالسماء مثلاً ، أو سلطان الحكومة والحاكم .

كما يوجد فى اليابان عبادة السلف أو القبائل وأبطالهم المحاربين.

عبادة الميكادو

تكلمنا على الصفحات السابقه عن اليابانيين القدامى وكيف انهم استنوا الديانه الشنتويه » وتقديس القبيله وتوقيرها.. وكانت قبيلة (يماتو) من أشد القبائل وأكثرها إحياء لتوقير السلف من القبائل وأبناء هذه القبائل هم الذين صاروا سادة اليابان فيما بعد.. وأحفاد أحفادهم .. هم صناع مجدها وحضارتها وعظمتها اللاحقه فى الوقت الحاضر .

وكان زعيم هذه القبيله (يماتو) يسمى (الميكادو) وهو مركز دينهم

وعبادتهم ـ ثم زعموا أن الشمس ـ كما تقول أساطيرهم القديمة ـ تَمُتُّ بصلة القربى له ، ومنها انحدر «الميكادو» ، فحسبوه ممثل الشمس وآلهة السماء على الأرض ..، وكانت عبادة أسلاف القبائل الذائعة الصيت فى اليابان ـ قبل أن تخضعها لها أسرة (يماتو) هى خير أساسى لهذه العقيدة الجديدة

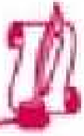
وقد بذل رجال (اليماتو) الكثير في تبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة وأضافوا عليها آلهة صغرى ـ هم زعماء القبائل التى دانت لهم بالطاعة والولاء لحكم القبيلة الفاتحة (يماتو) .

وقد كان لهذا الجمع بين الآراء السياسية والدينيه أثره الكبير، مما تمخض عنه التوقير الشديد لشخص الأمبراطور لحد العبادة ـ فى العصر الحديث والذى هو من سلالة أفراد « الميكادو » ـ الأوائل .

على أنه بعد الحرب العالميه الثانيه ـ تنازل الميكادو « الامبراطور عن ألوهيته وأضحى شخصاً عادياً .

ومن هنا نرى أهم المميزات البارزة فى الدين اليابانى ـ فالديانة «الشنتويه» ليست دينا محكم الأوضاع ـ ولايمكن أن تقاس بالهندوسية فى أسرارها ؟ أو تشبه الكونفوشيوسيه فى قوتها ومتانتها الأخلاقيه ـ لكنها تشمل فى جوانبها طرازا معينا من الوطنية الدينية المتطرفة حيث نجد فى «اليابان ـ أن الامبراطور والدولة ـ هما كل شئ فى نظر الانسان اليابانى والفرد العادى بعدهما لاشئ !»

فكانوا يطلبون التضحيه فى حب وإيثار وكشرف عظيم .. فى سبيل الامبراطور .. «الميكادو» .. ابن الشمس الآلهة ـ وكانت عبادة الامبراطور من العناصر البارزة فى دين اليابان، لأن هذه الديانات ـ تضع الله فوق الامبراطور وجميع الخلائق ـ مهما كانت درجاتها وعظمتها .



عبادة الكامى ـ Kami

معنى كلمة (كامى) فى الديانة الشنتويه الحديثه غير معروف لدرجة أن أحد شيوخ الكهنه فى ديانه الشنتو القدامى ـ عند ماسئل عنها .

قال : لا أعرف لها معنى غير جملة واحدة ألا وهى كل شئ مقدس أو يحتاج للتقديس سواءً أكانت الأشجار الضخمة .. أو البحار ذات الأمواج العاتيه أو السماء ذات السحب العالية ـ أو العواصف الرعدية أو البرق الذى يبث الرعب بين وجدان الناس البسطاء »

وكان هذا السؤال لأحد فقهاء الشنتو » والمدعو: (موتورى نورينجا) فى القرن الثانى عشر ، والغريب أن معظم شعب اليابان لايفهم لهذه الكلمة معنى ـ كل مايقولونه عنها « انهم يحسونها فى أعماق الوجدان ـ وتتصل به اتصالاً مباشراً دون أن يعرفوا ماهى الكامى من الناحية الشكلية أو اللاهوتيه ؟» .

وكلمة (كامي ـ Kami) موجودة فى اللغة اليابانيه بمعنى (فوق أو أعلى) . وفى العبادة الشنتويه تفهم كلمة كامى بأنها موضوع العبادة فى الديانه الشنتويه.. وكثيرا ماتفهم علي أنها (الآله) أو «الروح » ولكنها تشمل بعض قوى الطبيعه الخيرة والشريرة معاً [1] ـ لذلك أسبغ عليها المريدون أسماء تدعو للاحترام والتوقير ، وضربوا لذلك مثلاً بالأرواح الخالقه والأسلاف العظام ـ والأشياء الحيه كالطيور والوحوش يمكن أن تكون أمثلة لـ (الكامى) .!

ولقد كان « الكامى السماوى » فى الشنتويه المبكرة أكثر سمواً من «الكامى الأرضى» أو يقيم فى موضوعات رمزية كالمرأة التى يعبدونه على صورتها فى هياكل (الشنتو) .

١ ـ راجع المعتقدات الدينية لدى الشعوب تأليف « جفرى بارندر ـ ترجمة د. أمام عبد الفتاح اصدار مؤسسة الثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت .

وتتحدث أساطير الشنتو عن أكثر من (ثمانمائة ألف) من الكامى للتعبير عن العدد اللامتناهى، بل تظهر أعداداً جديده من الكامى بصفة مستمرة .

وكثيرا ماكان مايطلق على منطقة (أومو) أسم أرض كامى حيث كانت مركزا للديانه فى اليابان القديمة ، هيكلها هو أقدم هيكل فى اليابان ويقال انه فى شهر أكتوبر من كل عام حيث يجتمع هناك (الكامى) من جميع أنحاء البلاد فى لقاء عظيم ، ويعقدون الزيجات .

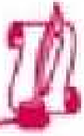
ولهذا السبب يسمى شهر أكتوبر فى تلك المنطقة (منطقة أوزو) :

(كامى - أرى - زوكى) أى « شهر مع كامى - بينما تكون باقى المناطق بلا آلهة فى هذا الشهر .

وهياكل عبادة «الكامى» فى كثير من الأحيان يحرسه كلبان كوريان أو أسدان صينيان باستثناء « هياكل الآنارى »[1] - المخصصه لـ « كامى » وهو كذلك رمز للخصوبه التى كانت الهدف من إقامة « هياكل أنارى » .

ومن ضمن طقوس عبادة الكامى فى الديانه الشنتويه - عند قيام المتعبد بزيارة الهيكل زيارة خاصة - أن يسير المتعبد على قدميه بمجرد أن يتخطى الثورى الأول - يعنى (البوابه الأولى) - ولابد أن يغسل يديه وفمه من ماء نبع طبيعى فى مجمع الهياكل - أو فى حوض الماء المحفور فى الصخر مستخدما أوانى يزوده بها الهيكل - ثم يصفق وهو يحنى الرأس إجلالاً أثناء تقديم توسلاته (وأيضا بالنسبة للأنثى) .. ويمكن أن يكون التوسل مكتوبا على ورق ويعلق على إحدى

١ - الانارى (هو الآله الذى يحمى زراعه الأرز فى الأساطير اليابانيه القديمه، وهو أيضا أله الرخاء ، وكانوا يصورونه على هيئة رجل ملتحى يمتطى ثعلباً أبيض أو امرأة طويلة الشعر تحمل حزم الأرز .. وكان الثعلب هو رسوم (أنارى) ولهذا توجد تماثيل كثيره للثعلب داخل الهياكل المخصصة لآله الارز وخارجها) .



أشجار السكاكى المقدسه .

وتتضمن العباده الرسميه أكثر من أربعة عناصر هى :

١ ـ فعل التطهر ويطلق عله (هاراى) بالاضافة للاغتسال ، عندما يلوح الكاهن بفرع من شجرة السكاكى أو بورقة منها منها على رأس المتعبد .

٢ ـ القربان ويسمى (شيبنسن Shepinsin) والذى يكون من الحبوب أو الشراب ، وأن كانت العادة جرت الآن أن يكون من المال أو فى صورة غصن من شجرة السكاكى المقدسة .

٣ ـ طقوس الصلاة واجراءتها .

٤ ـ الوليمه الرمزية ـ دلالة على تناول الطعام مع « كامى » وكثيرا مايشمل العنصر الأخير رشف قطرات قليله من خمر الارز (ميكى) المقدس الذى كان يقدم فى البداية فى عيد من أعياد الحصاد » .

والذى كان يقدمه الكاهن أو إحدى الكاهنات من (الميكو) .

كما كان يمكن لجماعة المتعبدون أن يطلبوا أيضا تأدية الرقصة المقدسة للمعبد والتى تسمى (كاجورا) والتي يوجد منها (خمس وثلاثون) رقصة تعبر عن الأساطير القديمه .

وصلاة (نوريتو) تعتبر محصورة تماماً فى موضوع المطالب البشرية واحدى هذه الصلوات ـ تضرّع « للكامى » من أجل محصول وفير ـ والتى تقول ترانيمها المقدسة الهادئة .. فى حزن وخشوع : ـ

(أولاً وقبل كل شئ ... !

ـ هناك فى حقلك المقدس أيها الآله المهيمن ..!

ـ ليت حبة الأرز الأخيرة التى سيحصدونها ..؟!

ـ ليت الحبة الأخيره من الأرز التى ستحصد .. ؟!

ـ بحبات العرق المتساقط من سواعدهم ..

وتشد مع الوحل .. العالق بالفخدين .. !

ـ ليت هذه الحبه تزدهر بفضلك أنت ؟!؟

ـ وتتفتح سنابل الأرز التى تتوق اليها الايدى الكثيره ..!

ـ فتكون أولى الثمرات فى الشراب ..

وأعواد النبات . (١)

الديانات القديمة .. فى كوريا الجنوبية

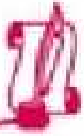
رغم أنه يوجد على أرض كوريا الجنوبيه الآن .. أديان عديده وجدت منذ زمن بعيد ولازالت راسخة حتى وقتنا هذا ، إلا أن الديانه البوذيه ـ رغم أنها أصلاً ديانة هنديه ... نشأت بين ظهرانيها وتفرعت على أرضها ..

ثم وفدت من الهند إليها ـ ألا تعد بحق من أرسخ الديانات ثبوتاً وأبقاها ـ وقد تعدى عدد المؤمنين بها فى كوريا الجنوبيه أكثر من « عشرة ملايين فرد » وقد دخلت الديانه البوذيه « كوريا للمرة الأولى فى عام (٣٧٢) بعد الميلاد ـ أثناء حكم الملك (سوسوريم) أحد ملوك اسرة (كوجيرو) الشهيرة ـ ويوجد فى كوريا حاليا أكثر من ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين معبداً وديراً بوذياً ـ تضم فى داخلها أكثر من ثمانية عشر ألف ناسك وراهب ـ وعن طريق كوريا ـ دخلت البوذية اليابان فى عام ٥٥٢ ميلادية .

ثم تأتى بعدها أكبر الديانات انتشارا فى كوريا ألا وهى :

«الديانه الكنفوشيوسيه» والتى يبلغ عدد معتنقيها أكثر من « ستة

١ ـ أديان العالم القديمة للاستاذ حبيب سعيد إصدار الكنيسة الأسقفية بالقاهرة .



ملايين فرد » لهم أكثر من مائتين وثلاثين مزارا ومعبداً منتشرة فى جميع أنحاء البلاد .

ودخلت بعد ذلك الديانه الكاثوليكيه ـ كوريا لأول مرة فى عام ١٧٨٣م فى عهد أسرة (بى) على يد أوائل مبعوثى وأرساليات الحكومة إلى الصين وكان لنتيجة معاهدات الصداقة التى عقدتها كوريا الجنوبيه مع الدول الغربيه ـ الأثر الكبير فى انتشار الديانه الكاثوليكيه المسيّحيه حيث بلغ عدد المؤمنين بالمسيحيه فى كوريا « مائة وعشرة آلاف فرد» فى عام ١٩٣٠م ويبلغ عدد القساوسة الكوريين حاليا (٩٢٧) قساً ، كما توجد أكثر من (ثمانمائه وستين كنيسه وكاتدرائيه) » .

وسنتناول هنا عزيزى القارئ .. أشهر ديانات العالم القديمه وأقدمها فى كوريا الجنوبيه ـ ونشأتها مع إلقاء الضوء عليها : ـ

** أولا : الديانه الشامانيه القديمة .. فى كوريا ..!

كان لطبيعة كوريا الجنوبيه ـ الساحرة .. من طبيعة تخلب الألباب وجبال شامخة .. شاهقة تكسوها الخضرة فى الربيع والثلوج فى الشتاء على قممها العالية .. وفى كل ربوعها .. فقد أطلق على كوريا لشدة جمالها .. (أرض الصباح الهادئ) . وقد أحب الكوريّون الطبيعه وجمالها الساحر فعشقوها لدرجة التقديس ومن هنا نشأت فكرة (ديانة عبادة الطبيعة) أو الديانه التقليديه الفولكلوريه الكوريه ، أو كما تسمى هناك (الشامانيه) .

ومن هنا كان « للديانه الشامانيه» دور بارز وتأثير كبير على البناء الاجتماعى الكورى منذ القدم ـ وحتى عصرنا هذا على الرغم من تعدد الأديان فى كوريا ـ بجانب هذه الديانه التقليديه ـ حيث نجد هناك

الديانات المسيحيه، والبوذيه، والكونفوشيوسيه ـ بالإضافة لدخول الدين الاسلامى الى كوريا حديثاً، رغم أنه لم يجد الطريق الصحيح .. ليأخذ وضعه اللائق به كدين سماوى .. خاتم لكل الأديان .

وغير معروف لنا أصل هذه الديانه ولامن الذى أسسها أو استنّها هناك ؟ ولو عدنا لأصل الديانه الشامانيه وكيف دخلت كوريا سنجدأن الديانه الشامانيه ـ موطنها الأصلى ـ منطقة جنوب سيبيريا ووسط آسيا ، وقد نزحت « الشامانيه » إلى كوريا من هذين المكانين فى التاريخ القديم قبل نشأة كوريا .. ولذلك نجد تشابها شديداً بين كل من الشامانيه العديدة التالية : ـ

١ ـ الشامانيه الكورية

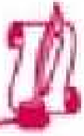
٢ ـ الشامانيه السيبيرية

٣ ـ الشامانيه التى جاءت من أواسط آسيا .

وقد تأثرت «الشامانيه» ـ التى سكنت كوريا بالفكر البوذى الى حَدّ ما ولم تعد هى الشامانيه الأصل التى جاءت من مهدها الأول .. من تاريخ طويل .. وقد لاحظنا وجود تأثيرات شديدة من « الشامانيه الكورية » على الديانه اليابانيه الأصليه والمسماة (شنتويزم)، كما كان لها أيضاً تأثير على الفن الياباني وذلك لارتباط كوريا مع الجزر اليابانيه ثقافيا وتجاريا منذ قديم الزمان مما كان له أكبر الأثر فى الديانه التقليديه اليابانيه ـ والفن اليابانى بفضل « الديانه الشامانية الكورية » .

ويعود رسوخ « الديانة الشامانيه » وتدعيم قواعدها إلى مؤسس كوريا وأول ملوكها القدامى (تانجون) والذى قام بتأسيس الأمه الكوريه منذ حوالى ٤٣١٦ سنه مضت (قبل الميلاد) . [١]

١ ـ كتاب حقائق عن كوريا الجنوبيه اصدار هيئة الثقافه والعلوم الكوريه عام ١٩٧٩



ويبدو قوة تأثير الشامانيه على أهل كوريا فى حياتهم العمليه وممارستهم لها وذلك من خلال فن الرسم حيث يقومون برسم الحيوانات والطيور مثل (النمور ـ الدببة ـ النسور ـ الكراكى) كما تبدو آثارهم فى الموسيقى والرقص وخاصة رقصة القناع والمسماة (تاك تُشوم)، والموسيقى التقليديه المسّماه (آك) والتى يتميز بها الكوريون عن سائر شعوب العالم .

ولو عدنا إلى الوراء ـ عزيزى القارئ ـ لإلقاء الضوء على الديانة الشامانيه « فى كوريا وأصلها . وكيف نشأت ومن أين جاءت ؟ ستجد معنى الشامانيه حسبما جاءت فى القاموس الانجليزى « اوكسفورد » يقول عنها : (انها الديانه أو العقيده الخاصة بقبائل سيبيريا أو القبائل السيبيريه والتى تعتقد فى آلهة خاصة ثانوية أخرى ـ وأيضا فى الأعتقاد بقوة (الشامان) [١] أو الكاهن فى نفوذه وتأثيره » .

وتختلف «الديانة الشامانية ـ فى كوريا عنها فى جزيرة (جيجو) احدى جزر كوريا الجنوبيه ، وذلك لموقعها فى البحر.. وقد تأثرت « الشامانيه » إلى حدّ كبير بتأثير ونفوذ القبائل السيبيريه التى اعتنقت الشامانيه منذ زمن بعيد جدا.. وقد حاولت الشامانية ـ قديما ـ أن تدافع عن نفسها ضد البوذية كما حاولت تحطيم الديانه البوذيه أيضا لكن الذى حدث أن كلامنهما تداخلت فى الأخرى حتى أصبحنا نرى الآن فى كوريا :ـ

أ ـ ديانات بوذية خليطة بالشامانية

ب ـ ديانات شامانية خليطة بالبوذية

ولانجد ديانه منهما صافيه ؟!

وطبقا للمعتقدات الشامانية ـ القديمة ـ فإن الكوريين يعتقدون بأن

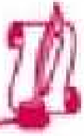
١ ـ الشامان .. هو كاهن الديانه الشامانيه أو الرجل المؤدى لطقوسها .

مؤسس مملكة كابا ـ قد خرج للحياة من بيضة ، ولهذا يعتقد معظم الكوريين أن الديانه الشامانية ـ تآتى على هيئة بيضاوية دائرية أو على شكل بيضاوى ؟ ونظرا لوجود الديانه الكونفوشيوسية آنذاك في كوريا والتى فضلت اللجوء للرجال ليقودوها ويبشروا بين الناس ويمارسوا طقوسها ، لذا فقد اتجهت الديانة الشامانية ـ إلي المرأة الكورية لكسب تأييدها مما جعل للشامانية تأييدا قوياً لدى الجنس اللطيف ، والذى كانت الديانة « الكونفوشيوسية » ـ تنبذه وتحقّر من شأنه وهكذا أصبحت الديانة الشامانية ـ ديانه المرأة ـ أو الديانه النسائية وأصبح أيضا للديانة الشامانية رهبان ومؤدون لطقوسها من الرجال والنساء ويطلق عليهن لفظ (مودانج) أو « مودانغ » .

ولايوجد مكان مخصص لآداء طقوس الديانة الشامانية ، فقد تؤدى بجوار صخرة أو عين من المياه أو البحر أو منزل الشخص الذى يطلب المساعدة من الرهبان « الشامان » .. أو مظهر من مظاهر الحياة ، حيث يمكن أن تتجمع أرواح الموتى فى هذا المكان .

وتتلخص طبيعة الطقوس الشامانية ـ التى يؤديها الشامان أو الشامانيه المسماه (مودانغ) فى تحضير الأرواح وسؤال روح الميت عما يفعله فى العالم الآخر وسؤال الروح عن الحياة الحاضرة والمستقبل لأفراد الأسرة ، وبخاصة أسرة الميت .

ولكى يستحضر الشامان (الكاهن الرجل) الروح لابد من عقد جلسة طويلة يتم فيها الغناء والرقص وقرع الأجراس والطبول والدعاء وأيضا الصلاة وفى بعض الأحيان يواجه (الشامان) وخاصة المرأة الشامانيه (المودانغ) مشكله استخراج الروح ـ وذلك بتلاوة التعاويذ والابتهالات وتقديم القرابين مثل الطعام الكثير المتعدّد الأنواع والشراب .



ويقوم كاهن الشامانيه (الشامان أو الشامانية) بحمل الطعام خارج المكان ثم نثره في الخارج على الأرض فى جميع الاتجاهات وهو يردّد التعاويذ والأدعية والابتهالات ـ ثم تقوم المرأة الشامانية (المودانغ) بغرس سكين على الأرض لمنع خروج أو دخول الروح مرة أخرى إلي هذا المكان ، أو تقوم بغلق الأبواب ، والشبابيك للمنزل أو المكان الذى تم طرد الأرواح منه أو استخراج رأس خنزير لكى تجذب الروح إليها وتحبسها بداخلها ثم يقوم الشامان أو الشامانيه ـ بدفن الرأس بعد ذلك فى مكان بعيد فى الجبل .

وللمرأة الشامانية (المودانغ) وظائف أخرى مثل الاتصال بالقوى الخارقة الطبيعيه وبقوى الآلهة التى تحكم الطبيعة وخاصة عندما تريد إحدي النساء أن تلد ولداً فعليها أن تصلى أمام رحم أو أمام صخرة على هيئة بيضاوية ، لكى تدخل إليها الروح عن طريق الرحم أو الصخرة البيضاويه [1] كما أن هناك عدة وظائف أخرى «المودانغ » (المرأة الشامانية) منها : ـ

١ ـ مساعدة المريض على التخلص من مرضه .

٢ ـ مساعدة الطالب فى الالتحاق بالجامعة التى يرغبها .

ودائما ماتظهر آلهة الجبل للشامانيه ـ على هيئة رجل كبير مُسن فى صحبة خدمه وخصوصا ـ حيوان النمر !

كما يعتبر جبل (جيريونج سان) فى كوريا ـ هو المكان المفضل لممارسة الطقوس الشامانيه ـ وأصلح الأماكن لها .

والشامان (الكاهن الرجل) لديه القدرة الخارقة علي السير علي السكاكين الحادة دون أن يشعر بأى ألم ، وذلك لمعالجة الأمراض

١ـ راجع عالم وسكنى الجان أجساد البشر ومايسمى بالمس الشيطانى من كتاب (الصارم البتار فى التصدى للسحرة الاشرار) للشيخ وحيد عبد السلام بالى / جدة .

وكشف المستقبل والطالع للأشخاص الذين يلجأون إليه ، كما يستطيع التحكم فى القوى الروحية للعالم المحيط به .

وبمجرد أن يصبح الرجل (شامان) ـ فإنه لايستطيع التحلل أو الرجوع عن ذلك فيما بعد وإلا تعرض لعقاب القوى الخفية ، وهكذا يظل (الشامان) الكاهن ـ مرتبطا بالشامانية حتى الموت .

وربما أيضا بعد الموت .. !

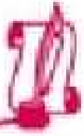
وتعتبر الشامانية أو (الـ موسوك) كما تسمى فى بعض أنحاء كوريا ـ « النوع الوحيد من الأديان التى تضم القوة الحيوية وتملكها للتأثير على مجريات الأمور فى حياة الأمة الكوريه جمعاء » ـ كما تعتبر الديانه « الشامانيه » ـ هى الدين الوحيد الذى له أشكال منتظمه وقواعد ثابتة حيث نجد أن أقدم الوثائق عن الشامانية ـ ترجع إلى أوائل القرن الأول الميلادى فى أسرة (شيللا) .

كما تدل على ذلك وتؤكد الآثار الصينيه القديمه التى أمكن العثور عليها ـ أن قدم الشامانيه ـ يعود إلى العصر البرونزى » وأن البوذية قد جاءت إلى كوريا متأخرة بأربعة قرون عنها .

أداء طقوس الشامانية فى كوريا الجنوبيه

تختلف الطقوس الشامانية ـ طبقا لحالة المناظر الطبيعيه والقرى والأماكن التى تؤدى بها ، فمثلا نجد الطقوس التى تتصل بالعائلة فى المنطقة الوسطى تقام عادة فى صالات الاستقبال وإذا لم تتوافر صالات استقبال يمكن أن تقام فى غرفة من غرف المنزل الداخليه أو فى المخيمات .

أو أمام شجرة آلهية أو أمام منبر حجرى أو صخرى كما يحدث



في القرى .

وتنقسم أنواع الطقوس للشامانيه كما يلى : ـ

أولا : النـوع الأول ـ ويـسـمى (كـوت) ويشـترك فى أدائه عـدد مـن «المودانغ » [1] بأصطحاب الفرقة الموسيقيه مع الرقص والتمثيل .

ثانيا : النوع الثانى ـ ويسمى (لجاسون) وتشترك فيه مودانغ واحدة وتكون الطقوس فيه موجزة وبسيطة وبعيدة عن الرغبات والأمانى وهو نوعان : « نوع تقوم فيه المودانغ » ـ بالرقص والغناء وهى واقفه ويسمى هذا النوع (سون كوت) ومعناه اجراء الطقوس واقفة .

والنوع الثانى منه ويسمى (أنجون كوت) وفيه تجرى المودانغ الطقوس الشامانية وهى جالسة ـ ومعناها أداء الطقوس جلوساً. كما تختلف الطقوس وأحجامها طبقا للحالة ـ فمثلا الطقوس الفردية (بالقري) تكون على نطاق كبير، والطقوس الخاصة بعلاج الأشخاص تكون على نطاق ضيق فيختار لها شكل (الجاسون) .

كيفية اجراء الطقوس للديانه الشامانية فى كوريا

لاجراء الطقوس للديانه الشامانية ـ لابد من مراعاة الآتى : ـ

١ ـ اختيار الوقت أو اليوم ٢ ـ استدعاد الآله

٣ ـ الصلاة ٤ ـ أخيرا توديع الآلهة

والنظرة إلى الآلهة فى عرف « الشامانية » هى نظرة تعدد الآلهة فى الطبيعه والاعتقاد بوجود إله واحد ، ولقد بلغ عدد «الآلهة الشامانيه » فى كل أنحاء كوريا حتى الآن أكثر من « مائتين وثلاثه وسبعين نوعا » من الآلهة ومن بين هذه الآلهة نجد أن : ـ

١ ـ المودانغ : هى المرأة الكاهنة فى الديانة الشامانيه والتى تؤدى الطقوس الشامانيه .

أ ـ اله الأرض ويحتل نسبة ٨,٩٪

ب ـ اله السماء ويحتل نسبة ٧,٤٪

وتختلف أنواع الأغانى والرقصات للطقوس الشامانية حسب أشكال (الكوت) فتبلغ عدد الأغانى والرقصات (٦٤٣رقصه) ، وتقسم الأغانى والرقصات الى ثلاثة أنواع رئيسيه هى : ـ

١ ـ الأغانى والرقصات المتعلقة بآلهة العائلة .

٢ ـ الأغانى والرقصات المتعلقة بآلهة القرية .

٣ ـ الأغاني والرقصات المتعلقه بالآلهة الخارجية .

كما نلاحظ أن مضمون الأغانى والرقصات يشتمل على شرح وتوضيح أصول الطبيعه بما فيها السماء والأرض وأصول الآلهة وجميع الكائنات في العالم وأيضا مسببّات الانسان وأمور قضاياه والتمنيات والصلوات لإزاحة الشر وجلب السعادة والرفاهية للإنسان .. ونجد أن النظرة الشامانيه للعالم الآخر تتلخص فى انهم يعتقدون فى العالم الآخر والجنة المواجهة للعالم الحالى ، وانه لايقلق الانسان من أى شئ من ناحية المأكل والملبس والمشرب لتوافره هناك بكثرة ، كما لاتوجد صراعات أو أمراض أو موت ، بل حياة هنيئه .. سعيدة أبدية ليس فيها جوع أو شقاء أو تعب ..!

ويعتقد (الشامان) والشامانيون فى وجود النار ـ وأن الانسان بعد موته تذهب روحه للعالم الآخر وتمر على عشرة ملوك واحداً .. واحداً وهم الذين يحكمون على الشخص الميت ـ إما بدخول الجنه أو النار .

أما إذا كان الشخص قد قدم الخير فى حياته ، فيدخل الجنة على الفور بحكم هؤلاء الملوك العشرة .

وهكذا عزيزى القارئ ـ نجد أن الشامانى ـ لاتنتهى علاقته



بالشامانية الا بالموت .. وأيضا بعد الموت .. وذلك طبقا لمعتقداتهم الدينيه والتي تعتبر الشامانية أحد أهم المظاهر الدينية الموروثة بين الطبقات الشعبية ، والتى يطلقون عليها هناك أيضا اسم (موسوك) ومعناها (روح الشعب) .. وهما سبب أصالته وإجادته وإبداعه الذي ينبع من داخل الروح التى تسكن الضلوع ..!

** ثانيا : ديانة « شوندوجيو بكوريا »

«ديانة شوندوجيو» تعتبر من أكثر الديانات القديمة والجديدة ذات النفوذ فى كوريا، وقد أسسها فى منتصف القرن التاسع عشر (شوشى بو) الذى ولد فى عام ١٨٢٤م ومات في عام ١٨٦٤م. ولقد قامت حركة (شوشى بو) أساساً كحركة سنسكريتيه[1] - تهدف الى الجمع بين أفضل العناصر فى الأديان الشرقيه والغربيه .

ولقد نادى « شوشى بو » فى مذهبه وديانته الجديدة - « بإيجاد صلة روحيه خالصه بين الله والإنسان - وبالالتزام الذاتى المتشدد والتكريس الكامل لارادة السماء »

ولقد أصبحت حركته وبخاصة بعد وفاته - مرتبطه بمشاعر العداء للأجنبى والتطلع لتحقيق الاستقلال الوطنى وهما ماكان يشعر بهما الكوريون .

وكانت «الشوندوجيو» - هي عقيدة معظم أولئك الذين اشتركوا فى حركة (ونجهاك) فى التسعينات فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ويتبع «ديانة الشوندوجيو» حاليا فى كوريا (ثمانمائة ألف فرد) ولهم أكثر من مائة وخمس وعشرين كنيسة ومعبدا منتشرة فى جميع

١ - مذهب التوفيق بين الأديان (يسمى السنسكريتيه) .

أنحـاء البـلاد ومـازال هناك العـديد من الكوريين حـتى وقـتنا هذا يمارسون تلك الديانه .

** ثالثا : ديانة أو مذهب « التايجونج جيو »

وديانة الـ « تايجونج جيو » والتى تسمى فى كوريا (عبادة تانجون) على أساس عقيدة الآلهة الثلاثة :ـ

* (الاله هاينوثيم) خالق الكون

* (الاله هوان يونج) حاكم السماء

* (الآله تانجـون) المؤسس الوطنى لدولة كـوريا . ويتـبع هذه الديانة حاليا أكثر من « مائة وعشرين الفا »ـ ولها أكثر من خمسة وعشرين معبدا فى جميع أنحاء كوريا .

وبعـيدا عن الديانات الرئيسـيه فى كـوريا ـ فـإن هنـاك عديداً من المجموعات الكورية .. الدينية المختلفة بعضها من أصل كورى قديم ـ والبعض الآخر دخل كوريا من الخارج .

وبذلك يصل إجمالى عدد المؤمنين بدين أو بآخر فى كوريا الجنوبية لحوالى (تسعة عشر مليون فرد تقريبا) .. وهذا يعنى أن واحداً من بين كل اثنين من الكوريين يدين بأحد الديانات .

«وقـبل أن يصل الاسـلام الى الأراضى الكورية قـديما ـ عـزيزى القارئ العربى ـ كان الاعتقاد القديم .. السائد لدى الكوريين الأوائل هو (هناثيم) ومعناها بالعربيه : (الله الواحد الذى لاشريك له) .



الفصل السادس

الديانات القديمة فى إمبراطورية الصين القديمة

ساعدت طبيعة بلاد الصين القديمه..الشاسعة ومساحاتها المترامية الأطراف.. وكثرة صحاريها وجبالها ، والتى لاتسمح بمرور القوافل بها للتجارة وتبادل المصالح .. والثقافة.. واللغات ، على جعل الصين تعيش فى عزلة تامة بسبب شعورها بأنها تقف وحدها وسط حضارات العالم العظيمة . !

وقد ساعدت طبيعة شعوبها وماتتمتع به من صفات سلوكيه نادرة تتسم بالانضباط والطاعة والولاء الشديد للأسرة .والحاكم.. والوطن، أن تنجز انجازات فريدة..حيّرت الكثيرين الذين جاءوا لمشاهدتها . مندهشين من الانجاز العظيم الذى لم يلجأهم للمساعدة من الآخرين .. ؟!

ونظرا لأن الصينيين لهم لغاتهم الخاصة التى لاتربطهم بأى شعوب آخرى والتى يكتبونها برسوم عجيبة اخترعوها لأنفسهم منذ أكثر من ألفى عام مضت.

فقد ساعدهم ذلك على اعتبار أنفسهم مملكة مستقلة .. ومركزا للكون كله .

ويطلق على اسم الصين القديمة باللغة الصينيه اسم [١] .

١ ـ راجع أديان العالم ـ للقس الأستاذ حبيب سعيد إصدار الكنيسه الانجيليه مصر

(شنج كيو ـ Cheeng-Kuo) ومعناها : (مملكة الوسط)

لذلك فقد اعتبر الصينيون أنفسهم جزيرة ضخمه من الثقافه ذات التاريخ القديم والحضارة .. وسط بحار من الجهل والهمجيه حولها .. وتعنى بذلك بلاد العالم الأخرى المتخلفه فى نظرها ، والتى ليس لها تاريخ .. وبالتالى ليس لها حضارة .

ولعل من أهم الديانات القـديمة فى الصين ـ هى تلك الديانات الثلاثة منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنه مضت : ـ

١ ـ الديانة الكونفوشيوسية

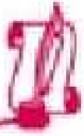
٢ ـ الديانه الثاوية

٣ ـ الديانه البوذية

وقد وجدت الديانتان القوميتان الأصليتان فى الصين وهما الديانه الكونفوشوسيه، والديانه الثاويه ـ قبل قدوم الديانه البوذيه إليها من الهند منذ حوالى خمسمائه عام مضت .

وقد كان ملوك الصين الأوائل ـ قديما ملوكاً وكهنه فى وقت واحد حيث كانوا يستمدون قوتهم وسلطانهم من السماء التى قلدتهم مهام مناصبهم .

وقد كلفت السماء « أسرة تشو » الملكيه ـ بتولى الحكم الذى يعتبر تفويضاً من السماء ، وخير دليل على ذلك حكم «أسرة تشو» والتى كانت تعتقد أن الآله الأعلى هو السلف الأعظم (شانج تى) وتمسك السماء حسبما كانوا يعتقدون ـ بيدها الكون بأسره (العالم الطبيعى وسكانه)، كما تقضى بتعاقب الفصول فى مواقيتها وتأمر بدورة الموت والتجدد،كما تكفل خصوبة الرجال والنساء ، والحيوانات والمحاصيل، غير أن السماء تعطى هذا الحق ومسئولية تنظيم الكون لوصيها



على الأرض وابن السـمـاء (تين تزو ـ Tien-Tzo) وكلمـة (Tien) معناها فى اللغة الصينيه (السماء) .

ولقد وقع اختيار السماء على « أسرة تشو » للقيام بهذا الدور كما تزعم (وتنظيم الكون) لابد أن يكون مقبولاً عند السماء عن طريق الطقوس والشعائر التى تؤدى لتحضير النظام الطبيعى فى الكون وتسلسله وسط الجنس البشرى .

أولا : العبادة الملكية لأسرة تشو ـ القديمة ..!

تقام طقوس عبادة « أسرة تشو » الذى هو ابن السماء فى معبد الأسلاف وهو المبنى المركزى فى القصر الذى تواجهه الشمس صوب الجنوب وعندما يتم الاقتراب من البوابة الجنوبيه ـ تفتح على فناء عظيم يقع فى الجانب الشمالى منه ضريح أسلاف « أسرة تشو » .

وعلى النقوش المرسومة علي الآنيه الخزفيه المقدسة ـ يصف لنا «قائد مظفر » هذه المراسم النموذجيه التى شارك فيها والمقسمه إلى جانبين أحدهما حفل ملكى والآخر عبادة . فيقول : « فى اليوم الأول وقبل الشروق يقوم الكهنه الكبار بتجهيز الملك فى قصره ، ثم يتقدم الملك إلى معبد الأسلاف ، ويقف أمراء الاقطاع العائدون من حملات عسكرية أمام البوابة الجنوبية ، ثم يدعون إلى الفناء الكبير حيث يعرضون أسراهم ، عندئذ يضحى بالأسرى كقرابين فى معبد الأسلاف ـ ويتقدم المشاركون نحو الفناء الرئيسى حيث يتلى تقرير عن الحملة ، ثم يسير الملك من الفناء الرئيسى إلى المعبد لتقديم القرابين للأسلاف الملكيين » .

وفى اليوم التالي تقام الولائم للرعايا المجتمعين من اللحوم والخمور التى سبق تقديمها مكافأة لهم من الملك .»

وقد حفظت الطقوس التى كانت تؤدى فى مثل هذه الخدمات الدينيه فى (كتاب الأغانى) وهو عبارة عن مختارات من الشعر الصينى المبكر وهى ترنيمات لملوك (أسرة تشو) وبغض النظر عن كونها أقدم شعر فى اللغة الصينيه ، فإن لها أهميه خاصة بوصفها أول تعبير أدبى للصينين عن مشاعرهم الدينيه .

والترنيمات الدينيه ـ عبارة عن تضرعات واعترافات موجهة للأسلاف من الملوك وتراتيل تُتلى للآلهة فى أعمال البطولة والشجاعة .. وهناك أغانى ترحب بالاتباع ، وأخرى تعبر عن الإخلاص والولاء ينشدها هؤلاء الأتباع للملك ـ ومن كل هؤلاء تتألف طقوس العبادة الملكية المذكورة آنفاً .

وسنحاول هنا عزيزى القارئ ـ أن نعرض لك بعض الترنيمات الدينيه التى كانت تُتلى فى معبد الملوك الأسلاف لأسرة (تشو) حيث تقول : ـ

(بهدوء جليل وأنسجام مهيب .. ويسجل الوزراء والفرسان الحاضرون فضائل سيدهم المنشئ .. المتكفل بنا من قبل السماء ..!

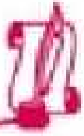
ـ الملك (ون) .. آه ياមولاى لعلك تجد وأنت فى جلالك العظيم فى العمل المتّزن ، والكلمة المهذبة .. مديحاً لايغضبك فى بشر فانين ؟!

ـ جليل ولاحَدٌ لجلاله ، هو تكليف السماء .. فضيلتك أيها الملك الشهيد (ون) .. تهبط لتضمر بالبركة ..!!

ـ خدماً على الأرض .. ليس علينا إلا أن نتلقى عطفك واحسانك ؟! .. فليحفظها من يأتون بعدنا ؟!.

ـ إننا نأتى بتواضع ، بمالدينا من قرابين ..!!

ـ من ثيران وخراف .. فلتتبع منها عناية السماء .. ورضا الملك ..!



ـ ليكن علينا على الدوام أن نخشى غضب السماء ..!

ـ حتى نصون عطف الملك ..

ـ ونحافظ على طريقنا المستقيم ..!

ـ ينبغى علينا لكى نجلب السلام على الأرض ..؟!

ـ أن نطيع أوامر الملك الآله (ون ـ Wen) .

ـ وأن نثق فى تشريعاته .. وسوف يراقبنا من بعيد .. ؟!

ـ ويشملنا بالتشجيع والتأييد ..!!

ـ نيابة من الحرير البراق ـ وقبعته مرصعة بالأحجار الكريمة ..!

ـ خمرة معتّقه للغاية لكنها لاتُسكر ..؟!

ـ فى تواضع جليل يمشى .. هوناً وبلا صوت ..!

ـ وسط الركائز المقدسة .. والقرون الخاصة بالشراب ..!

ـ يمشى من القاعة إلى العتبة ـ بخطوات محسوبة ..؟!

ـ ويمنح عفوه فى النهاية ... للمسنين ..!!)

ثانيا : كونفوشيوس وديانته القديمة

أمدت توجيهات « أسرة تشو » من الملوك والأباطره وترنيمات كهنتهم الدينيه أثناء تأديتهم الطقوس ـ أمدت « كونفوشيوس » (بوثائق الماضى العتيق).. كما أيدت أفكاره السياسية والدينية بسلطات قديمة .. وقد جاءت فكرة (الموجود الأسمى) أو (تشانج ـ تى) فى اللغة الصينيه والتى معناها (الله فى الأعالى) ـ فى الديانة الجديدة « كونفوشيوس » .

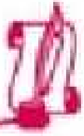
ويعتبر «كونفوشيوس» بحق أول فيلسوف صينى عظيم ينجح فى

إقامة مذهب دينى يضم كل الأفكار الصينية عن السلوكيات والأخلاق، وتقوم فلسفته على القيم الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقى أعلى .. وقد ظلت هذه المعتقدات والطقوس الكونفوشيوسيه » ـ تتحكم فى سلوك البشر هناك لأكثر من ألف عام .

وقد ولد كونفوشيوس ـ سنة ٥٥١ قبل الميلاد فى ولايه (لو) فى شمال الصين ومات أبوه وهو طفل صغير ـ فعاش مع أمه فى فقر شديد ، وعندما كبر عمل بالحكومه ، ثم اعتزل العمل ليتفرغ للعبادة والدعوة قرابة ستة عشر عاماً ـ ظل فيها يدعو الناس .. متنقلاً من بلد الى بلد . وقد استطاع أن يجمع حوله أعداداً غفيرة من الناس، وفى سن الخمسين من عمره ترك بلاده وأخذ يتجول فى ربوع البلاد المجاورة مبشراً الناس وداعياً لدينه الجديد .. قرابة ثلاثة عشر عاما ـ ثم عاد بعدها ليقيم إقامة دائمة فى بلدته لمدة خمس سنوات ـ توفى بعدها في عام (٤٧٩) قبل الميلاد .

وفى نظرنا لاتعتبر ديانة كونفوشيوس (الكونفوشيوسية) ديانة بحق ـ لأن دينه الجديد لايتحدث عن الله أو السماوات ـ وإنما تعاليمه عبارة عن « دعوة ومذهب تقوم على حب الناس وحسن معاملتهم فى الحديث والأدب فى الخطاب ونظافة اليد واللسان .. كما يقوم مذهبه على احترام الأكبر سنا والأكبر مقاماً ، وتقديس الأسرة ، وطاعة الصغير للكبير والمرأة لزوجها » .

كما يؤمن «كونفوشيوس » فى ديانته الجديدة ـ وينادى بأن الحكومة إنما أنشئت من أجل الشعب ولخدمة الشعب، وليس العكس؟ ويجب أن يكون للحاكم مبادئ وأخلاق ومثل عُليا وقيم تحكمه ـ وتتلخص أهم مبادئ الديانة الكونفوشيوسية فى سطر واحد : (أحب



ويرى كونفوشيوس ـ أن العصر الذهبى للإنسان قد ولى ومضى ، ولذلك كان يحّن للماضى ـ ويدعو الناس للحياة فى الماضى ـ مما قلب عليه الحكام الذين لم تعجبهم هذه الآراء ..؟

وقد اشتدت هذه المعارضة بعد موته ـ عندما قام الملوك بحرق كتبه وتعاليمه ـ التى تدعو الناس للنظر للماضى (أى للوراء) بينما كان المفروض أن تدعو الشعوب للتقدم للأمام .. والنظر للمستقبل .

ورغم موت « كونفوشيوس » فقد ظلت تعاليمه منتشرة بين تلاميذه وكهنته فى كل مكان واستمرت قرابة عشرين قرناً من الزمان ـ تتحكم فى الحياة الصينية (أى فى المدة من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد) .

ويرجع السبب الأساسى لايمان أهل الصين الشديد به ـ لصدقه فى دعوته وإخلاصه فيها ـ ولأنه أيضا كان رجلاً معتدلاً وعملياً ولم يطلب من الناس أن يغيروا من تقاليدهم أو عاداتهم » (وهذا يتفق مع المزاج الصينى) حيث وجد أفراد الشعب أنفسهم فى تعاليمه ـ والتى سرعان ماتجاوزت حدود بلاد الصين ـ لتنتشر فى اليابان وكوريا .

ثالثا : « الديانه التاويه فى الصين القديمة »

يرجع أساس « الديانه التاوية » ـ إلى كتاب قديم .. صغير يسمى (لاوتسو) ومعناه (الطريق وقوته) والذى تم ترجمته لكل لغات العالم منذ قرابة ألفى عام .. وهذا الكتاب فيه غموض تقبل كل التفسيرات والاجتهادات لكل فئة وأساسها هو (التاد) ـ أى الطريق .. وتبدأ سطور الكتاب بجملة واحدة تقول :

(إن الطريق الذى يوصف ، ليس هو الطريق الأبدى) .

ويقوم مذهب الديانة (التاوية) على مبدأ يقول : «ان الانسان لايجب أن يقاوم ، وأنما يجب أن يعيش فى وفاق معه » .. ويقول المذهب « إننا إذا تأملنا انسياب الماء من المكان المرتفع الى المكان المنخفض ، وإذا رأينا الماء يدور حول الأجسام التى تعترضه ـ دل ذلك على أن الماء له طريق .. ونظام لايقاوم ..!

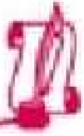
.. ولايمكن بالتالى ـ أن نوقف انسيابه لأن الطريق المائى لايمكن القضاء عليه أو تحطيمه ـ بينما نرى أن أكثر الصخور صلابة تتحطم !)

ومن ضمن تعاليم الديانه التاويه « أيضا » : (إن الانسان لابد أن يكون بسيطا وسهلاً لكى تنساب حياته فى هدوء وليس هناك أبغض من العنف والطمع والجشع ، ولايمكن أن يصلح الانسان العالم ؟ ، ولكنه يمكنه أن يتوافق معه ؟!» ـ لذلك تعتبر الديانة التاوية » ـ أن دفع الناس للأذى والحروب هو إكراه على الشر وهو الشر الحقيقى للإنسان ولحكومته التى يختارها بنفسه !

ويعتبر كتاب (الطريق) فى الديانه التاويه ـ رغم صغر حجمه هو الأساس فى السلوكيات السوية والأخلاق الحميدة والتعاملات الدينيه فى الصين ، بل يعتبر هذا الكتاب بحق ـ هو الأب الروحى للتعديلات التى أدخلت على الديانه البوذيه « وعلى مذهب (الذنّ) لها .

وتتلخص حكمة « الديانه التاوية » ـ فى « دعوة الناس للمواءمة مع الطبيعة وترك النفوس على سجيتها .. هادئة .. صافيه حتى تضمن بذلك سلامة الروح والجسد .. والسلام الاجتماعى والراحة النفسيه .

وغير معروف لدينا فى الكتب أو المراجع التاريخية ـ متى ولد (لاوتسو) « مؤسس الديانه التاويه ».. ولامتى مات.. وكل الذى أمكن الحصول عليه من معلومات مُستقاه عن حياته : أنه عاش فى الفترة



الموجودة والمحصورة من عام (٣٢٠ قبل الميلاد) .

رابعا : « منشيوس ـ وديانته القديمه »

ولد « منشيوس » ـ نبى الصين الثانى بعد نبيها وفيلسوفها الأول (كونفوشيوس) فى سنة ٣٧١ قبل الميلاد ـ فى إحدى قرى الصين الصغيرة والتى تسمى (تسّو) ويطلق عليها الآن (منطقة شانتونج) .

وحينما ولد كانت الحرب قائمة بين ولايات الصين المتعددة والتى أصابتها بالتمزق ، ومن هنا جاءت فلسفته لتدعو الناس جميعا للوحدة فيما بينهم .

وقد أمضى « منشيوس » سنين عمره ـ متنقلا بين الولايات والبلدان المتعددة فى الصين ـ يقوم فيها بالدعوة لدينه الجديد ويقدم النصح والمشورة للحكام ، ولم يعد الى مسقط رأسه وبلدته إلا في التاسعة والخمسين من عمره حيث مات فى عام (٣١٢ قبل الميلاد) .

ومن أهم كتب (منشيوس) كتابه الشهير والمسمى (تعاليم منشيوس) الذى ظل مئات السنين موطن احترام الناس له فى كل أنحاء الصين .

وتغلب على تعاليم (منشيوس) الدينيه ـ التفاؤل .. والمثالية وهو قريب جدا إلى « كونفوشيوس » نبى الصين الأول ـ ويؤمن بأن الانسان فى داخله الطيبة والوداعة ، ولهذا فهو محب للخير وأنه فى حاجة لمن يمد له يد العون ليتقدم ؟!

ومن أشهر عباراته :

(إن السماء ترى كما نري وتسمع كما نسمع) .

ويرى « منشيوس » أن الحاكم لابد أن يكون رحيما بالشعب ومثلاً أعلى لهم .. لأن الشعب هو الأصل .. ورغم أنه يرى « أن الملك يستمد سلطانه من السماء كان يرى أن من حق الشعب أن يقوم الحاكم الظالم وأن يثور عليه إذا ظلم ! »

وقد اتخذت الصين هذا الشعار مثلا للحكم بعد مئات السنين من وفاته .. ورغم أن الحكّام كانوا يكرهونه لذلك ، إلا أنهم احترموه وأحبه لهذا أبناء الصين حبا شديداً وقدسوه لدرجة العبادة !

وقد وصف بعض مؤرخى الفلسفة (منشيوس) نبى الصين بأنه :

(فيلسوف الشعب) ولم يحدث فى تاريخ العالم أجمع أن سيطر رجل بأفكاره قرابة عشرين قرنا من الزمان على خمس سكان العالم من الكرة الأرضية بالحب والتسامح والدعوة للخير ونصح الحكام .. لصالح الشعوب الضعيفه من أمة الصين القديمه .. كما فعل (منشيوس) ـ فيلسوف الشعب الصينى .. العظيم ..!) [١] .



١ ـ راجع العظماء مائه لمايكل هارت إصدار مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر / نيويورك .

الفصل السابع

القارة الهندية ودياناتها العديدة فى الأزمان القديمة

قبل أن نتكلم عن الديانات القديمه فى الهند ـ تعال بنا عزيزى القارئ ـ نلقى نظرة على القارة الهنديه قديماً.. فى عهد الحضارات القديمة التى كانت تحكم الدنيا منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد حيث كانت الحضارات ومراكز الثقافة تنحصر فى الدول التالية.. آنذاك : ـ

(اليونان ـ مصر ـ كريت ـ ليتشيا ـ سومر ـ ايران (بلاد فارس) ـ أفغانستان ـ الهند) .

وتبدأ قصة القارة الهندية منذ قرابة ستة آلاف سنه قبل ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) عيسى بن مريم ـ حيث تم وضع أسس الثقافة والتى على أساسها مازالت المدنية الحديثة تسير على منوالها ـ وذلك بفضل بعض القبائل الرّحل الذين استوطنوا قارة الهند ، والذين يطلق عليهم تجاوزا : (قبائل الأحراش) ، وهم الذين أوجدوا زراعة الأرز وزراعة القصب واستخرجوا عصيره وجلبوا الخضروات معهم واستنبطوها وزرعوا اليقطين (القرع) .

وقد أعطت هذه القبائل للهند شخصيتها المرحة.. البارزة فى الطابع الهندى مع روح التكيّف تبعاً للأحداث مع احترام النظام .. ويرجع لهم الفضل أيضا في نشر كثير من التقاليد الدينية

المتعارف عليها حتى اليوم [١] .

كما يعود لهم الفضل فى ترسيخ التقاليد الاجتماعية المستعمله فى الهند .

كما أوجدوا قواعد النطق والاعراب واسلوب بناء الكلمات فى اللغة والتى نقلتها إليها بالترجمة ـ « اللغة السنسكريتيه » .

وقد فهم هؤلاء القوم ـ ان للانسان حياة داخليه أخرى، وأن الروح تستمر باقيه بعد الموت ، وتوافرت لديهم فكرة التقديس فأطلقوا عليها كلمة (تابو ـ Toboo) والتى تعنى اليوم ـ التحريم ـ بحكم الدين أو التقاليد ، وسرعان ما انتقلت كلمة (تابو) الى اللغه: (الويديّه ـ Vedic) وخرجت منها إلى اللغة الانجليزية .

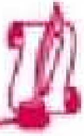
كما جاءت بعد ذلك نظرية (القوى السلبية ، والإيجابية) فى الخلق والتى جاءت فى مخطوطات (لينجا ويونى) ـ فى الأيام الأولى لتاريخ الهند ـ قبل أن تطأ أقدام الدراويديين ، والآريين ـ أرض الهند .

ويرجع الفضل لهؤلاء القوم ـ من تكوين حضارة وثقافة الأمة الهنديه ونشر اللغه فيها بين طوائف الشعب .. وقد اندثر هؤلاء القوم الذين انضم بعض أسلافهم فى داخل جماعات الدراويديين والآريين .. وبعضهم فضّل النزوح لمناطق الغابات والأحراش التى جاؤا منها .

ويقال لهؤلاء الجماعات المتبقيه من الأسلاف الأوائل لمؤسسى الهند: ـ

١ ـ الموندرا ـ Mondras
٢ ـ موشار ـ Mashar
٣ ـ شام ـ Chamars
٤ ـ الفوند ـ Chonds
٥ ـ شاندال ـ Chandalas
٦ ـ سنتال ـ Santhals

١ ـ راجع كتاب أديان العالم ـ الأستاذ حبيب سعيد إصدار الكنيسه الانجليكيه



٧ ـ كاسى ـ Khassi
٨ ـ البسيسى ـ Pases
٩ ـ الكثرى ـ Kathari
١٠ ـ ناجا ـ Naga

وقد نزح للهند بعد هؤلاء من الشمال الغربي قبائل تسمى ـ (الدراويديين) والذين جاءوا بين سنة ٤٠٠٠، ٣٠٠٠سنه قبل الميلاد (ميلاد السيد المسيح) عليه السلام ـ وهم عبارة عن خليط من الشعوب التى كانت تعيش فى مناطق تقع شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط .

وقد جاء « التاميل » من منطقة غرب جزيرة كريت طبقا للتسجيلات الأغريقيه القديمه فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ والتى أطلقت علي بعض المستوطنات فى السند الجنوبى ـ لفظ (عرابيته) .

وفى الهند تشير قبائل (التاليجو) إلى (التاميل) بقولهم عنهم (أرافالو) وهى الترجمة للكلمة الأغريقيه (عرابيته) وهى مشتقه أصلاً من اللغة السنسكريتية » (آرافا) ومعناها: (البكم العاجزون عن الكلام) .. وكان الناس يأكلون فى طعامهم الكثير من مواد الغذاء التى يتناولها الناس حاليا مثل اللحم الضأن والبقر والسمك والدجاج ، والقمح والشعير ، وكانوا ينسجون ملابسهم من الصوف والقطن ، الذى نشأ أصلاً فى الهند ولم يعرفه الناس فى العالم الغربى إلا بعد أن عرفه الهنود بألفى عام أو أكثر .

وقد قدم من سيلان قبائل تسمى (الآريون) انتشروا فى الهند وافغانستان وايران وغرب آسيا وأوروبا والأمريكتين ، والأريون قبائل من الأعراب الرحّل الذين يجيدون ركوب الخيل وفن القتال والمولعين بالترحال والاستكشاف .. وتعنى كلمة « الآريين » (الناس ذوى الأصل النبيل) ويرجع الفضل لهم في إنشاء بلاد فارس (إيران حاليا) والتى اشتُقّ منهم هذا الاسم ..!

وبرزت من هؤلاء القبائل جماعة أطلق لفظ (بهاريتة) .. والتى أصبح لها اليد الطولى فى حكم الهند لقرون طويلة فيما بعد .. وقد اخترع الآريون الرمز الدال (الصفر) كما اخترعوا الأسس الأولى لعلوم الجبر والهندسة والرياضيات ، واستخدم الآريون العد بالعشرات وخرجت من بين صفوفهم أمرأة تدعى : (ليلاوات Lilawati) كانت قمة وحُجّه فى الرياضيات ، والتى أخذ عنها العلم الحديث أسس الرياضه .

وكانت عباداتهم فى تلك الآونه ـ تستهدف إيقاظ روح الإنسان وايقاظ العالم الروحى داخل كيانه الجسمانى ومن أدعيتهم المفضلة فى صلواتهم : ـ

(من الباطل خُذ بيدى .. الى الحق ؟

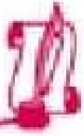
ومن الظلا .. وجهنى الى النور ..)

هكذا كانوا يقولون فى صلواتهم .. وأدعيتهم .. للآله الأعظم .!

الديانة البوذية

هكذا كان حال الهند ـ بعد أن استوطنها الآريون والدرايديون وبنوا القصور الفخمة وابتاعوا الضياع والمزارع والخدم وتحلوا بالنفيس من الحلى والمجوهرات لإظهار مدى مايتمتعون به من عز وجاه ونعيم ، بينما كانت الغالبية العظمى من سواد الشعب .. ترزح تحت نير الفقر والحرمان .

هنا ولد الحكيم الهندى (بوذا) مؤسس الديانة البوذية .. فى القارة الهنديه والذى كان أميراً وأبناً وحيدا .. لأب حاكم على شمال الهند .



كان اسمه الأصلى قبل أن ينشئ البوذية هو الأمير سيد هارتا وعندما أسس لديانه الكبرى فى الهند أطلق على نفسه (اسم : « جواتا مابوذا ») وقد زوجه أبوه فى السادسه عشره من عمره من إحدى قريباته التى كانت فى مثل سنه .

ورغم ان (بوذا) كان يعيش وسط النعيم والأبهة والفخامة داخل قصر والده الحاكم إلا أنه كان يشعر بالتعاسة الشديدة لملاحظته أن أكثر أفراد الشعب فقراء وأن الأغنياء فيهم تعساء .. وأشقياء ؟!

ولذلك بدأ (بوذا) يفكر فى شئ أبقى وأنقى من كل مافى الحياة حوله .

وعندما بلغ الحاديه والعشرين من عمره ـ وبعد أن رزق بطفل صغير قرر الأمير (سيدهارتا) أن يهجر هذه الحياة الزائفة .. ذات الرياش الفاخرة والنفاق والرياء .. والشقاء .. وان يتفرغ للتأمل فى هذه الدنيا وأمرها .. باحثا عن الحقيقه فتخلى عن ثيابه الفاخره ونعله الجلدى الفاخر وكيس نقوده ، وتحول إلى متسول .. مُفلس يجوب الأراضى والوديان .

وقد اكتشف أن الحل الوحيد لمتاعب هذه الدنيا ـ هو الزهد فيها فزهد فى كل شئ وأمضى سنوات كان فيها لايأكل إلا القليل من الطعام والشراب .. وبعد فترة من المعاناة وتجويع الجسد اكتشف أن تعذيب الجسد وتجويعه ـ يملأ العقل ضباباً ويحجب رؤية الحقيقه عن نفسه فعدل عن الزهد للحياة العادية التى يأكل فيها ويشرب مثل سائر الناس ، ويجالسهم ويحادثهم ويسمع منهم ويسمعون منه ؟!

وبينما كان الأمير (سيد هارتا) فى عزلته التى فرضها على نفسه جالسا تحت شجرة تين تساقطت عند قدميه هموم الدنيا كلها واهتدى إلى حلها ، وظل طوال الليل مستيقظاً ، يتأمل إلى أن يشرق الصباح

عليه وهو فى خلوته هذه ؟! .. فأيقن فى داخل نفسه أنه قد عرف الحقيقه وأنه قد أصبح (بوذياً) ـ أى « إنساناً مستنيراً » .

وهكذا أصبح اسمه (جواتاما بوذا) مؤسس الديانه البوذية والتى تتلخص تعاليمها فى البنود التالية :ـ

أولا : ان الحياة فى أعماقها تعيسة ..

ثانيا : ان سبب هذه التعاسة أنانية الانسان وشهوته .

ثالثاً : إن أنانية الانسان وشهوته يمكن القضاء عليها عندما يصل الانسان الى حالة (النيرفانا) ـ أى « انعدام كل شئ فى أعماقه » .

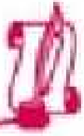
رابعا : ان الوسيلة إلى الهرب من الأنانية هى أن نسلك طريق الحقائق الثمانيه التاليه : ـ

١ ـ النظرة الصحيحة
٢ ـ الفكرة الصحيحة
٣ ـ الكلمة الصحيحة
٤ ـ العمل الصحيح
٥ ـ الحياه الصحيحة
٦ ـ الجهد الصحيح
٧ ـ الفهم الصحيح
٨ ـ التأمل الصحيح

وبعد وفاة (بوذا) ـ انتشرت الديانه البوذيه بين كل الناس لأنها كانت ديانه مفتوحة على كل الناس بلاتفرقه أو لون أو جنس وسرعان ما أنتشرت الديانة البوذية فى بورما والملايو ثم أفغانستان ودخلت الصين وأصبحت الديانه الرسميه لهذه البلاد، وأصبح لها اتباع تعدوا المائتى مليون فى دول العالم .

أشوكا .. ومبراطورية موريا بالهند !

« أشوكا » ـ هو أعظم ملوك الهند وأباطرتها فى تاريخها القديم



وكـان ثالث ملوك « أسـرة مـوريا » وحـفـيـد مـؤسـسـهـا (شـاندرا جوبتاموريا) الذى استولى على شمال الهند وأسس أول امبراطورية كبيرة فى ذلك الوقت .. حينما كان زعيما عسكريا وقائدا عظيما إبان فترة نهاية غزوات الاسكندر الأكبر .

وقد اعـتنق الامـبراطور (أشـوكا) الديانه البـوذيه فى عـهـد (بوذا) آنذاك - وغير مـعـروف لدينا متى ولد هذا الأمبراطور ؟ بالضبط وان كان قريبا من سنة ٣٠٠ (قبل الميلاد) حيث اعتلى عرش البلاد فى عام ٢٧٣(ق.م) وسار على نهج جدّه العظيم في توسيع رقعة الأرض عن طريق الفتوحات العسكرية وسفك الدماء .

وفى إحدي غزواته ضد ولاية (كالينجا) [١] على الشاطئ الشرقى للهند وجد أنه قد قتل أكثر من مائة ألف نسمة وجرح اعداداً أكبر منها، مما أثار رعبه وفزعه من كثرة سفك الدماء ، وهنا قرر (أشوكا) ترك الأعـمـال العسكريه تمامـا واعتنق الديانه البوذيه - التى تنادى : (بالصدق والرحمة والابتعاد عن العنف مع الناس) .

وزيادة فى التكفـيـر عن خطاياه فى الماضى - فـقـد امـتنـع عن أكل اللحوم وأصبح نباتيا وأقام المستشفيات وحظائر الحيوانات وألغى كثيرا من القوانين الصارمة ، وعين عددا من الرهبان البوذيين لنشر الرحمة والمحبه بين الناس ، وإشاعة التسامح بين كل الأديان .

ويرجع الفـضل الأكبر للأمبـراطور « أشـوكا » فى انتـشـار الديانه البـوذيه - خـارج الـهند لإرسـاله الرهبـان البـوذيين إلى خـارج البـلاد للتبـشير للدين الجديد ونشر تعاليمه السمحة .. المحبة للخير بين الناس أجمع .!

وقد أمر « أشوكا » بتسجيل قصة حياته وأعماله على الأعمدة وفى

١ - كالينجا : توجد مكانها الآن ولاية (أوريسا) .

كل مملكته بالقارة الهنديه ، ولازالت هذه الأعمدة باقيه .. حتى الآن ؟!

ولازالت النقوش البارزه عليها لم تسمح بفعل الزمن وهى الدليل الوحيد على أعماله المجيده وعلى روائع فن المعمار القديم .

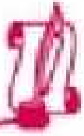
وبعد وفاته بخمسين عاما ـ انهارت أمبراطورية « موريا » ولم تقم لها قائمه .. وإنتشرت الديانه البوذيه ـ فى سائر البلاد المجاورة للهند بفضل هذا الرجل .. الأمبراطور .. المتصوف البوذى .. لتصبح فى النهايه ـ الديانه البوذية ـ واحدة من أكبر الديانات فى العالم .

الديانة الهندوسية .. فى القارة الهندية

فى القارة الهنديه ـ عزيزى القارئ ـ أديان عديدة .. لاحصرلها لكن أشهرها (الديانه الهندوسية) ـ تلك التى يدين بها أغلبية القارة الهندية هناك والتي تجمع بين ثناياها ـ « الوثنية الساذجة، والآراء الفلسفية السامية ، والزهد الصادق » ـ بحيث يصعب الإلمام بها فى سطور كدين أساسى يعتنقه الغالبيه العظمى فى الهند.. ويقول عنها بعض العلماء (أن الهندوسية ـ موضوع واسع ومفهوم محير يعتنقه اليوم مئات الملايين من البشر رغم كونه أصلاً ، دين بلا عقيده محددة ؟ وليس له هيئة مستقلة تشرف عليه ؟) .

لكننا من الناحيه الايجابيه ـ يمكننا أن نعرف « الهندوسية » بأنها «اتباع أو عبادة الاله (فشنو ـ Vishnu) أو الاله (شيفا) أو الآلهة « شاكتى » أو تجسيداتهم أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم .

وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من أتباع عبادة الآله : (راما وكريشنا ـ Rama & Krishna) وهما تجسيد « لفشنو » واتباع عبادة « درجا » وسكاندا ، وجاينشا » وهم على الترتيب (زوجة شيفاو أبناؤه) لكن ينبغى أن نستبعد « براهما » ، وسيريا (الشمس) ويمكن



القول اذن أن الديانه الهندوسية [1] : هى (ليست عقيدة محددة لأنها أسلوب في الحياة أكثر منها مجموعة من العقائد المختلفة ـ ولهذا فليست لها صيغه محددة المعالم ، ومن هنا كانت تشمل من العقائد مايهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار ومايرتفع الى التجريدات الفلسفية الدقيقة .

والكتب المقدسه فى الهند تسمى (Vedas) فيدا ـ ويرجع تاريخها إلى سنة ١٥٠٠(قبل الميلاد) حينما غزت قبائل الآريين والهند واستقرت فى البنجاب ، وأنشأت مجموعة من التراتيل التى تألفت منها (الفيدا) وهى ذات أهمية تاريخية خاصة لاتقدر بثمن ـ لأنها تعد من أقدم الكتابات الدينية الحية فى العالم .. كما ينفرد الهنود عند سائر شعوب العالم الناطقة باللغات (الهند ـ أوروبيه) بأنهم يدينون بعقيدة انحدرت بشكل مباشر عن ديانة الثقافة الأم .

وتحتوى مجموعة (الفيدا) المقدسة على أكثر من ألف ترنيمه « لآلهة الفيدا » ـ أما المجموعات الأخرى أو « السامهينا » ، فقد كتبت لخدمة احتياجات الانشاد (ساما ـ فيدا ـ Sama- Veda) ومعناها (الفيدا الشمسيه أى المنسوبه للشمس » ـ وهى أيضا قسمان أحدهما مزامير متعلقه بالعبادة والواجبات الدينيه « براهمانا » .

أو كدليل موجز لعمليات الأضاحى أو تقديم القرابين (وهى تسمى: « ياجورافيدا ـ Veda - Yagura » ومعناها : (الفيدا الهوائيه) أى المنسويه للهواء ، وهى مجموعتان يطلق على إحداهما اسم (ياجورافيدا البيضاء » ـ وعلى الأخرى « ياجورافيدا السوداء ») .

وهى التى تؤدى فيها الترانيم دورا حاسماً، وفى حين أن هذه

١ ـ راجع كتاب أديان العالم ، وكتاب المعتقدات الدينية لدى الشعوب .

المجموعات الثانوية ـ تكرر كثيراً من مواد (الريج ـ فيدا) وتعيد تنظيمها لأغراضها الخاصة ، فإن مجموعة رابعة هى المسماة (اتارفا ـ فيدا) وهى تتميز عن المجموعات الأخرى من حيث انها تشتمل على العديد من الرقى والتعاويذ لأغراض طبيه ، وعمل طلاسم سحرية تساعد على الانتصار فى المعركة وماشابه ذلك ..!

وفى كتابات « الفيدا المقدسة » ـ انبثقت الهندوسية فى نهاية عصر « الفيدا » من مذاهب القرابين الكبرى الموروثه ـ والتى تتمثل فى عبادة الأسلاف وتوقيرهم وإشعال النار المقدسة فى البيوت الهندوسية أو المعابد وهم يعتبرون رب الأسرة .. كاهنها ..!

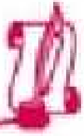
ويعتبر الهندوس أنفسهم ـ السلالة النقية المتبقية من الجنس الآرى

لذلك لابد من وجود النار المقدسة ـ مع نشأة البيت وتظل مشتعلة ، ولاتستخدم هذه النار فى أعمال البيت من إعداد الطعام أو الأغراض الأخرى ، وهى تشعل بنوع خاص من الخشب وبطريقه حَكّ العصى ببعضها ولايتركونها حتى تخمد حيث يتقدم رب الأسرة بالقرابين اليوميه للآلهة بواقع ثلاث مرات يوميا .

وتسمى هذه الطريقه ـ (التضحيات الخمس الكبرى)

وعبادة البراهمان ـ روح العالم ـ وهى تتلخص فى تعليم « الفيدا » أو تلاوتها وعبادة الآباء بتقديم الطعام والماء لتغذيتهم [١] . وعبادة الآلهة بإحراق القرابين وعبادة (بهوتاس) وهى الموجودات الحية فى الأرواح ، وذلك بنثر الحبوب فى الجهات الأربع والمركز ، وفى الهواء ، وفوق أوانى المنزل ووضع الطعام على عتبة الدار للمنبوذين والحيوانات والطيور والحشرات وعبادة الرجال عن طريق تقديم

١ ـ كان الهنود الهندوس (يقدمون الطعام لأرواح الأسلاف حتى لاتغنى أرواحهم إذا امتنعوا عن تقديمه على فترات !)



الضيافه إلى الآرى ، ويفضل البرهمى العليم بالفيدا .

وأهم واجبات رب الأسره الهندوسى - والذى يعتبر سلالة الآلهة والمعبود على الأرض - حيث يلتزم بتقديم القرابين من الطعام والماء يوميا الى أرواح الأسلاف ، وإلى روح البيت التى تسكن فى الركن الشمالى الشرقى منه .

كما عليه أيضا أن يقدم لهم (البندا) [١] فى يوم ظهورالقمر الجديد من كل شهر.. وتسمى العناصر الرئيسية في هذا الاحتفال (شرازا) حيث تتم كما يلى :

(يجلس فقهاء البراهمة - الذين هم على خُلق لايرقى إليه شك - فى مكان مكشوف على مقاعد منسوجة من العشب المقدس ، ويفتح رب الأسرة الاحتفال وينهيه - بحرق قرابين للألهه فى النار المقدسة والتقرب للآباء حيث يصنع رب الأسرة ثلاث كرات من الأرز ويضعها فوق سجادة منسوجة بالعشب المقدس بعد رش المكان بالماء .

وتذهب هذه الى الموتى الثلاثه للأسلاف : «الأب ، الجد، أب الجد» ثم يمسح الأرز العالق بيده فى العشب ، وهذا هو تقديم للأسلاف الثلاثه الأسبق - (جد الجد - أب جد الجد - جد جد الجد) ثم يسكب ماء مباركا على الأرض بالقرب من (البندا - Pinda) لإرضاء الأسلاف الأكثر بعداً .

ثم يقسم (البندا) أو كرات الأرز « على ضيوفه من البراهمة الذين يأكلونها وماتبقى من (شرازا - Sharadha) يصبح الوجبه الأساسيه للضيوف .. (والشرازا) هى همزة الوصل بين الأحياء والأموات ، وهى التعبير عن التعاون المتبادل بينهم طالما كانت الطقوس تؤدى بانتظام .

٢ - (البندا) : كرة من الأرز (حبات الأرز المكومة على شكل كرة) .

طقوس الموت عند الهندوس

مالم تستقر أرواح الموتى فى عالم الآباء ـ تظل عرضة لأن تصب البلاء على رؤوس نسلها الذين لم يقوموا بإحكامها عن طريق القرابين لضمان انتقالها الى عالمها المناسب .

وهكذا يتم حمل جثة الميت بعد الوفاة بقليل ـ الى أرض المحرقه فى موكب من الأقارب يتقدمه الابن الأكبر الذى يسير على رأس المحزونين ويخلف المرحوم كرب للبيت ، وتحرق الجثة ، بينما يطوف أهل الميت حول المحرقه فى اتجاه عكس عقارب الساعة (الاتجاه العكسى للدورات) الذى يدعو الى الحزن ثم يغتسلون ويعودون للبيت فى موكب يتقدمه هذه المرة أصغر الأبناء سناً (١) .

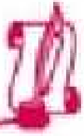
وفى اليوم الثالث ـ من حرق الجثه تلقى العظام فى النهر، ويفضل أن يكون نهر الكنج ـ لوجود أدراج وسلالم على ضفتيه مما يسمح بسهولة النزول النهر. كما كان يفعل الأسلاف منذ الآف السنين ويواصلون بعد ذلك سكب الماء المقدس وتقديم القرابين ـ من كرات الأرز ، وقوارير اللبن للمرحوم ـ لمدة عشرة أيام متصلة .

وبعد انقضاء العام ـ يقومون بعمل (السبندكرانا) التى تجعل الميت يتناول (البندا) « أقراص الأرز » ـ مع أسلافه فيما يسمى (الشرازا) كل شهر .. وهم يعتقدون أن الروح تكتسب بذلك بدناً رقيقاً يمكنها من القيام بالرحلة إلى عالم الآباء أو يمكنها طبقا لمعتقداتهم من الميلاد مرة أخرى .

وعندما يكون الميت طفلاً أو آنسه أو ناسكا ـ فإن الجثه فى هذه الحالة تدفن ، أو تلقى فى النهر ولاتحرق ولايقدم لها القرابين .

---

١ ـ راجع المعتقدات الدينيه القديمه لدى الشعوب ـ اصدار مؤسسة الثقافة الكويتيه (عالم المعرفه) مايو ١٩٩٣ .



ولأن الشرط الأساسى عندهم (الهندوسى) هو الدخول فى الآريه عن طريق الترسيم ، ويتم ذلك بالنسبه للصبى بأن يمنح الخيط المقدس ، (المنترا) .. أما بالنسبه للفتاة فيتم عن طريق الزواج ، أما بالنسبه للناسك فينظر إليه على أنه ميت بالنسبة لعالم رب البيت ولدينه .

وهكذا يعتبر الترسيم لدى الهندوس ـ ميلادا جديدا بالنسبه للحياة الدينيه (لدخول العضو فى الجماعة) ، لدرجة أن الطبقات العليا منهم ـ الذين يرتدون الخيط المقدس ـ يسمونهم = (المولودين مرتين) .

ويتم الترسيم ـ عادة وهو الخطوة التاليه فى (السمسكارا) عندما يبلغ الطفل سن الثامنه حتى الثانيه عشره ـ ويتم فيه ارتداء المرشح زى الناسك ويمسك فى يده صولجانا مع خيط مقدس يوضع على كتفه اليسرى ويتدلى من ذراعه الأيمن ثم يتلو الكاهن الرسمى من كتاب (جبترى ـ منترا) وهى عباره عن أبيات من (الريج ـ فيدا) المقدسة يتلوها الهندوس وهم الطبقة العليا فى جميع طقوسهم والتى تقول : ـ

(فلنفكر فى روعة وجلال .. الآله سافترى ، حتى يلهم عقولنا ..!!)

وفى هذه الحالة يقوم المرشح باستجداء الصدقات ويضع نفسه تحت وصاية « براهمى » متفقه فى الدين ليصبح معلمه الروحى، وليعلمه ويهذبه بالكتب المقدسة لاسيما (الفيدا) ، وعلى التلميذ أن يظهر لمعلمه أقصى درجات الاحترام والخشوع ـ أكثر مما يظهره لوالديه ، « لأن الوالدين هما اللذان يهبان الأبن الحياة ، بينما المعلم هو الذى يهبه الخلود من خلال معرفته الدينيه العميقه » .

طقوس الزواج والأسرة عند الهندوس

لايخضع الزواج فى الديانة الهندوسية لأهواء الفرد لكى يختار من يشاء ؟ لأن الزوجه لابد أن تكون مساوية له فى المولد والأصل وتمت لها عملية الترسيم وغيرها من الطقوس ، لأنها وحدها القادرة على ممارسة الطقوس المنزلية دون أن تدنسها ..!

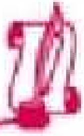
ولأنها وحدها أيضا القادرة على انجاب الابن الطاهر النقى المؤهل لمواصلة مشوار الأب وعبادة الاسلاف من بعده .

ولذلك فعلى العريس أن يبحث عن عروس لاتمت لعائلته بصلة لامن قريب ولامن بعيد .. ولم يتقدم لأسرتها (البندا) ولا القرابين من الطعام والماء للأسلاف . وهناك لابد لها أن تدخل فى أسرة العريس عن طريق (الترسيم) لكى تشارك الأسرة فى دينها ، ولكى تنجب لها إبناً وبالتالى تنقطع صلتها بأسرتها الأصليه [١] .

ويرمز لحفل الزواج على أنه (هبه) أو أمر مقدس أو « ترسيم » حيث ينتقل العريس وصحبه فى موكب إلى بيت العروس حيث يستقبلهم والدها مرحباً، ثم يجلس العروسان فى سرادق مؤقت على جانبيه ستارة صغيرة ، ثم تفتح هذه الستارة بينما الكاهن يتمتم بعبارات مقدسة يتولى بها مراسيم الزواج ..!

وفى هذه اللحظه يقوم والد العروس بتقديم أبنته للعريس رسمياً ثم يقوم العروسان بتقديم حبات من القمح للنار المقدسه وهما متشابكا الأيدى ، ثم يطوفان حول النار وأطراف ردائيهما معقودة ، ثم يخطوان معاً سبع خطوات ثم يرش عليهما بالماء المقدس ، حيث تؤدى المزيد من الطقوس عند عودة موكب العروسين ـ لبيت العريس وبذلك يصبح الزواج تاما ومكتملاً .. !

١ ـ راجع أديان العالم للقس الأستاذ حبيب اصدار مطابع الكنيسة الانجيليه مصر / شبرا



للأسرة فى الديانه الهندوسية طقوس خاصة بها - يطلق عليها (طقوس الأسرة) وهى ذات سمات معينة - حيث نجد أن رب الأسرة هو كاهنها أى أن (نظام عقيدة عبادة الأسلاف فى داخلها) بالوراثة .

وتؤول هذه الخاصيه للقادرين على تقديم القرابين إليه بعد الموت ، وإلى أسلافه ، وأبنائه المتزوجين قبل غيرهم .

وفى حالة نقص الذكور فى الأسرة يؤول الإرث حينئذ إلى أولئك الذين قدموا (البندا) إلى واحد أو أكثر من الأسلاف الذين قدم لهم المتوفى (البندا) كذلك .. ويطلق عليه لفظ : (سابندا - Sapinda) أو مشاركاً فى « البندا » - لأن الأرث فى هذه الحالة يتطلب الالتزام بتقديم (البندا) إلى المرحوم .

وهنا لاترث الإناث فى البنات - مادام الذكور هم القادرون على تأدية (الشرازا - Sharadha) ويمكن للأب الذى لا أولاد له أن يتبنى إبناً قطع صلته بأبيه الطبيعى ، أو يعين بنتا لو كان له ابن لتنجب له حفيداً يصبح هو الوريث .. ولأنه ليس فى استطاعة أحد أن يخدم نارين فى وقت واحد - فإن العروس والابن بالتبنى وابن الفتاة التى حددها الآب - يفقدون حقوقهم وعضويتهم فى أسرتهم الأصليه - ليصبحوا حينئذ أعضاء جدداً فى أسرتهم بالتبنى ولهم كافة الحقوق المكفولة لباقى أعضاء الأسرة الأصليين .

وقبل أن نترك الديانة الهندوسية وننتقل لديانة أخرى فى القارة الهنديه - لابد لنا من وقفة لنشير فيها عن الأساطير والشعر فى الديانه الهندوسيه - حيث تعتبر الملاحم من الأعمال الأسطورية العظيمة فى الهندوسيه - وبخاصة أشهر ملاحمها : -

١ - ملحمة «المهابهارتا - Mahabharata » - وهى قصيدة بطولية

تتألف من (مائة ألف زوج من الأبيات الشعرية) التى تصف صراع وقتال الاخوين بين كل من (ناندافاس ، كورافاس) وهماحكام منطقة « دلهى » فى زمن (الفيدا) .

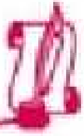
٢ ـ ملحمة « الراماينا ـ Ramayana » ـ وهى قصيدة أسطورية طويلة تحكى أعمال الملك راما ـ ملك أيوذا » ـ مع ملاحق عن أساطير الخلق وقوائم بالملوك وحكايات خارقة والمذاهب الدينية والمأثورات القديمة .. وهذه الملاحم تعبر عن الآلهة المتنافسة مع العقائد وتعتبر هذه الملاحم ... ملكية عامة للهنود الذين يدينون « بالهندوسيه » .

وخلاصة القول ـ ان الديانه الهندوسيه تشمل طوائف دينيه كثيرة منفصلة عن بعضها البعض ، ولها معان متعددة مختلفة يمكن تلخيصها فيما يلى : ـ

«ان الهندوسى ـ يعتبر هندوسياً متى ولد فى طبقه من هذه الطبقات وحافظ على قواعدها وتقاليدها، ولو ان المثقفين منهم لايحبذونها .. ويؤمن الهندوسى ـ بنظام الطبقات ويحترم الأشعار المقدسه (Vedas) وطقوسها ويوقر البراهمة ـ ثم يحسب البقرة مقدسة لاعتقاده فى تناسخ الأرواح وأنطلاق النفس أخيرا من قيود هذا التجوال » .

ويميل إلى مذهب الحلول الالهيه فى الطبيعة ، وان كان مثقفاً مهذباً ينكر تعدد الآلهة ، وان كان وطنياً ـ يرتاب فى نظام الطبقات وحقيقته .

وان كان برهمياً ـ يؤمن بالأوضاع الأولى للديانة الهندوسية ويحفظ طقوسها ومراسمها القديمة ويعبد الاله (سيفا) أو الاله (فشنو) ويدرس الأشعار المقدسة، أوبعض المذاهب الفلسفية الهندوسية.. وان كان من أبناء الريف البسطاء ـ فأنه يحفظ



الطـقوس ويعـبـد الآله (رامـا) أو الآله (كراشنا) أو (سيفا) أو الآله الفرد أو زوجة الآله (سيفا) . وان كان منبوذاً فآلهه شيطان القرية .

« وللهندوسيه - أوضـاع شتى متعددة بين فلسفة الحلول الآلهى في الطبيعة ، وبين الانحدار حتى تصل إلى عبادة الأرواح الشريرة .

ويصعب التمييز بين هذه الأوضاع المتفاوته جدا .

(وتعـتـبـر الديانه الـهندوسـيـة - خليطاً من كل الأديان القـديمة .. الغربية والغامضة والمتعددة) .

وجـمـيع المؤمنين بالديانه الهندوسـيـة - فى القـارة الهنديه من كل المراحل والثقافات المتعددة - يؤمنون بالآتى : -

* نظام الطبقات

* الفكرة بأن الله هو .. الحق الوحيد

* الفكرة بأن العالم وهم وخداع

* الفكرة المثلثة عن الأعمال (الكارما) وتناسخ الأرواح وانطلاق النفس واندماجها فى الكائن الأسمى .

ديانة السيخ .. بالقارة الهندية

ديانة السيخ - فى القارة الهنديه - لايمكننا أن نفهمها جيدا بغير الاشارة إلى عواملها الأساسية الثلاثه المكونة منها وهى : -

أولاً : تكوين المجتمع فى منطقة البنجاب وبخاصة المجتمع الريفى منها .

ثانيا: الفتـرة الطويلة من التاريخ البنجـابى والتى تبدأ من فتـرة المعلم الروحى (ناناك) حتى يومنا هذا ؟

ثالثا : التعاليم والطقوس والعبادات التى نشرها المعلم الروحى (ناناك) (Nanak) والتى علمها للناس خلال الفترات القديمة والحديثه من القرن السادس عشر .

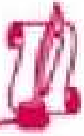
وقد أضافت هذه الأنماط الاجتماعية وضغط الظروف التاريخيه بالاضافة للقاعدة الأساسيه التى أرستها تعاليم المعلم (ناناك) ـ المعتقدات والأعراف والسلوك الاجتماعى والتى شكلت جميعها طريقاً بارزاً فى الحياة وتعبيراً دينياً فى هذا المجتمع عرف عند الغرب باسم «مذهب السيخ » أو ديانه السيخ « والمعروف عند السيخ أنفسهم بأسم (الجورمات ـ Gurmat) .

ومذهب السيخ أو الديانه السيخيه ـ لاتتوحد تماما مع الديانة الهندوسية ـ ولاتتميز عنها تماماً ـ ويوجد تشابه وحيد بينهما ألا وهو قبولهم لعقيدة التناسخ للأرواح في الحيوانات وبخاصة الأبقار وباقى الحيوانات .. كما يرفض السيخ تقسيم الطبقات فى الديانة الهندوسية ـ وعقيدة الآخوه بين السيخ واصرار السيخ أنفسهم على التمييز .

وأساس (ديانة السيخ) هى تعاليم وطقوس المعلم الروحى (ناناك) والتى تسمى «جنام ساخى» أى (شواهد الميلاد) للمعلم وهى أقرب إلى حياة القديسين وأساطير تفيض بالورع والمثاليه على حياة (ناناك) .

دعنا عزيزى القارئ ـ نلقى الضوء على حياة المعلم الروحى (ناناك) الذى ولد فى عام (١٤٦٩م) من أبوين ينتميان لقريه (تلفاندى) التى تبعد أربعين ميلا جنوب غربى (لاهور) والتى تعرف الآن باسم : (ننكانا ـ صاحب). وقد ترعرع (ناناك) وأصبح شاباً فى هذه القريه ولم يتركها إلا بعد أن تزوج وأنجب غلامين .

وبعد ذلك انتقل (ناناك) إلى مدينة (سلكابنور) وغادرها فى أواخر



عام ١٥٠٠م حيث تبنى حياة الزهاد المتجولين .

ويتضح من كتابه المقدس (شواهد الميلاد) أنه قد شاهد جانباً من غزوات امبراطور المغول (بابير) وتوقفت سفرياته ورحلاته أيام غزوات « بابير » وإن أحدهم تبرع له بقطعة أرض على ضفاف نهر (رافى ـ Ravi) فأقام عليها قريته المسماه (كارتربور ـ Kartur - Pur) .

وقد قضى معظم سنى حياته فى هذه القرية إلى أن مات فى حوالى شهر سبتمبر من عام ١٥٣٩ ميلادية .. وتتخلص أهم بنود وقواعد هذه المعتقدات الدينيه لدى المعلم الروحى (ناناك) فى كونها : (خليط من الهندوسية والاسلام ـ أو الصوفية الاسلامية) ويتألف هذا المركب من العقائد الدينية المتنوعة من الايمان الدينى ـ يشار اليها بأسم (ترجونا سمبراديا) أو تراث سانت) للهند الشماليه وبين تراث (فشنا فابختى) « المخصص لعبادة تجسيدات فشنو » .

كما تم إضافة تراث « فشنافا » كعنصر أساسى رغم تغيير شكله من عناصر من (اليوجا التنتريه ـ Tantric - yoga) بجانب قدر ضئيل من تأثير التصوف (الصوفيه الاسلاميه) . وكانت النتيجه : نمطاً من الايمان يؤكد أهمية الخصائص (الفشنافيه) فى عبادة المحبه .

كما رفضت فكرة الافتار (التجسيد الآلهى) واستخفت بعبادة الأصنام مع التمسك بدقة بالعبادة الباطنيه .

وتتلخص تعاليم ديانة السيخ ـ التى صاغها المعلم الروحى (ناناك) كما جاءت فى أول كتبه المقدسة حيث نجد أن رقم (واحد) يمثل لديه وحدانية الله.. وهو مفهوم فسره المعلم (ناناك) لأن الله عنده شخصى وواحد وهو الخالق .. المفارق .. المتعالى ، الذى يجب أن يرتبط به الذين يبحثون عن الخلاص .. ارتباطاً وثيقاً .

وتصف تعاليمـ المعلم (ناناك) فى ديانة السيخ ـ الله أو فهمه لعظمة

الخالق بأدل مصطلح فى الديانه وهو (نرنكر) ومعناها فى ديانة السيخ (الذى لاشكل له) . ومن أبرز مايوصف به الله ـ أنه هو :

(الواحد .. الذى لاشكل له) والصفة الثانية لله هى (آمحال) ومعناها: (الأزلى) ـ والثالثه: هى (الخ) ومعناها عندهم (مالا يوصف أو مالايمكن وصفه .

وفى سؤال له من أحد تلاميذه ـ كيف يمكن للمرء أن يعرف الله ؟ يجيب المعلم (ناناك) فى تعاليمه ـ « ان المرء لايستطيع أن يعرف الله لأن الله فى تمامه يجاوز كثيرا فهم .. الموجودات الفانية » .

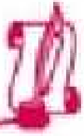
وهو أيضاً آله النعمة ـ الذى بعث بوحى يمكن للانسان العادى .. محدود العقل فهمه ! وهو الوحى الذى يتجلى فى الخلق .. فالله ـ هو : (حاضر فى كل مكان) ومعناها فى لغتهم (ساراب فياباك) .

ويمكن لعين الشخص اليقظ روحياً أن تراه فى كل مكان ولهذا الوحى العام بؤرة مركزية معينة ـ هى القلب البشرى ـ ولابد للانسان المؤمن بالله أن يرى بعينه الخارجية وأن يكون قادراً أيضا على الرؤيا بعينه الداخلية (القلب) .. ولابد للتأمل من أن يتم فى الباطن ويتيح التأمل بهذه الطريقة ..استثارة تدريجية تؤدى فى النهاية إلى .. « طريق الخلاص !» .

كتب السيخ المقدسة

كتب السيخ المقدسة ـ عبادة عن مجموعتين من الطقوس والتعاليم ترقى إلى مرتبة الكتب المقدسة « لجماعة السيخ » وهما :ـ

أولا: المجموعة الأولى ـ (آدى جرانت) ـ أى المجلد الأول وقد جمعت فى الفترة مابين (١٦٠٣ ـ ١٦٠٤) بواسطة المعلم الروحى (آرجان)



ويستخدم المعلم الروحى فى هذه المجموعة تصنيفاً آخر من وصية المعلم (رام داس) واكتمل التشريع أثناء فترة المعلم الروحى (جويندسنغ) [1] فضلاً عن ترنيمات المعلمين وأضيف عدد من مؤلفات شخصيات مبكرة فى (تراث سانت) .

كما أضيفت مجموعة من المقاطع الشعرية المزدوجة (الكوبليه) تعزى إلى الشيخ (فريد الباك بتانى ـ Pak - Pattan) .

ويصنف المجلد تبعا للوزن الشعرى داخل كل وزن أو بحر وهى تتألف من الترانيم التى استخدمها المعلمون من قبل ارشادهم الدينى وكلها مكتوبه بلغة (سانت بهاشا) وهى لغة مرتبطة ارتباطاً وثيقا بكل من اللغتين : (الهندوسية ـ البنجابية) والتى يستخدمها أهل البنجاب على نطاق واسع كلغة مشتركة عامة ، والنص المكتوب ـ جرميخى) .

ثانيا : المجموعة الأخرى اللاحقه لها وتسمى (داسام جرانت) ولها أهمية خاصة ومتميزه .

وقد أصبح المعلم الروحى فى التراث الهندى معلما انسانيا ثم أصبح فى (تراث سانت) وعند « ناناك » ـ هو صوت الرب أو كلمة الله، وسرعان ماتحول دورة الحياة ـ دورة داخل جماعة السيخ إلى الرجال الذين قاموا بتقديم التعبير المعتمد عن تلك الكلمة الآلهية .

وهكذا اكتسب مرة أخرى مفهوما شخصياً . ولقد أعلن المعلم الروحى (جويندسنغ) قبل وفاته كما يقول تراث السيخ « ان خط الجور، (المعلم الروحى) الشخصى قد انتهى .. وان وظائفه تتمثل فى جانبين معاً هما : جانب الجماعة المتماسكة ، وجانب الكتب المقدسة .

١ ـ سنغ : « يتخذ السيخ الذين ينتمون الى جماعة المحاربين والأبرار الذين ينتسبون الى طائفة (الخلسا) لقب « سنغ » ـ أى أسد !

خطوات تأدية .. عبادة السيخ

تؤدى عبادة السيخ وطقوسها عند السيخى المخلص الذى يؤديها بانتظام بثلاثة أنواع من الطقوس كما يلى : ـ

أولا : التلاوة اليومية والترتيل لفقرات معينة من كتاب المعلم : (جرانت صاحب) خصوصاً (الجايجى) للمعلم (ناناك) الذى ينبغى تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والأغتسال مباشرة .

ثانيا : أداء الطقوس اليومية للأسرة رغم أنها ليست عامة على الإطلاق فتتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص المعلم (جرانت صاحب) ويقرأون فقرات ـ يتم اختيارها عشوائياً .

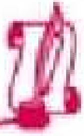
ثالثا: هناك لقاء مع الأسرة الأكبر ـ وهى أسرة (الخلسا) أى (الاخوة الأبرار) فى (الجوردوارا ـ Gurduara) [١] أو المعبد .. وذلك منذ أيام المعلم الروحى (ناناك)، (الجورادوارا) أو البناء المناظر له ـ يشغل مكانة ذات أهميه ملحوظه فى حياة جماعة السيخ .. وطريقة عبادة السيخ المتبعه فى (الجوردوارا) تعتمد أساسا على انشاء فقرات من نصوص (المعلم جرانت صاحب) .. وعندما يدخل السيخى هذا البناء لأول مرة ـ فإنه يتجه نحو الكتاب المقدس والمسمى (الجورو جرانت صاحب) . ثم يلمس الأرض بجبهته ويقدم قربانا .

وفى أوقات معينه يقوم جميع الحاضرين فى الاشتراك فى تلاوة :(الأرداس ـ Ardass) [٢] هى شكل معين من الابتهالات للنعمه الآلهيه . مع ذكر الآلام التى مرت بها الجماعة فى الماضى والأمجاد السابقة لها .

وتختم صلاة السيخ ـ بالاشارة إلى (جوروجرانت صاحب)

١ ـ الجوردوارا : وهى المعبد عند السيخ أيضاً أو مكان اقامة الشعائر !

٢ ـ الأرداس : صلاة السيخ



بوصفها التجلى الجسدى للمعلم ـ وذلك بالاعلان أثناء الصلاة بأن :
(الخلسا سوف تحكم) والتي ينطقونها بلغتهم :
(راجع كاريجا خالسا ـ Raj - Karega -Khalssa) . [1]

هذا ويبلغ تعداد السيخ الآن فى القارة الهنديه حوالى ١٢ مليون نسمة ويمثلون ٩٠٪ من مقاطعة البنجاب كما يمثلون نسبة ٣ ٪ من سكان البلاد . ولقد هاجر عدد كبير منهم إلى بلاد أخرى ، ويبلغون درجة أعلى فى التعليم عن سائر طوائف الهند ، ولهم ثقلهم الاجتماعى والسياسى نظرا لأنهم يدخلون فى تكوين الجيش والبوليس والحرس الجمهورى وفى النقل والمواصلات والنشاطات المختلفة الاخرى .

ولهم وضع اقتصادى مميز لكونهم يعيشون فى مناطق عالية الخصوبة ويمتلكون أحدث وسائل التقنيه الزراعية المتقدمة التى انتجت الكفاية الاقتصادية والرخاء الملموس بين طبقة المزارعين من « السيخ » . والذين يطلق عليهم فى لغة السيخ = (الجات) .



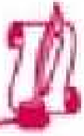
١ ـ المعتقدات القديمة لدى الشعوب ـ اصدار هيئة الفنون والآداب الكويتية مايو ١٩٩٣ .

خاتمة الكتاب

ها قد وصلنا عزيزى القارئ .. لخاتمة المطاف بعد أن تجولناً سوياً على صفحات هذا الكتاب .. بدءا من المراحل الأولى للأنسان البدائى .. وخوفه من كل شئ حوله .. وخاصة إذا كان ضخما .. أو مرتفعا عاليا كالجبال أو الأشجار وخوفه من المجهول والبحار لأنها تحمل وراءها أسراراً غامضة .. وتخفى بداخلها مآسى وأساطير ..!

وقد لاحظنا عزيزى القارئ .. أن الانسان فى مراحل حياته الأولى فى أى مكان كان يحاول أن يستنّ له تقاليداً.. وطقوساً.. ونظما للحياة والتعبّد .. للأله القوى الخفىّ .. الذى كانوا يرمزون له بأشياء عديدة وأسماء مختلفة طبقا للبيئة والمكان الذى يعيشون فيه .

كما لاحظنا تقديس الفرد وخاصة زعماء القبائل لدى بعض الشعب التى تقطن الغابات والهضاب .. واعتبارهم أن الشخص الزعيم .. له قدسيّة خاصة حتى أدوات الحرب والقنص التى يقتنيها واعتقادهم أيضاً فى فعاليتها بعد موت صاحبها . كما وجدنا أناساً يعبدون الطبيعة القويّة .. الرياح العاتية ويسترضونها بتقديم القرابين من الطيور والحيوانات والفاكهة حتى تسكت وترضى عنهم .. ومع التقدم .. خلال الأزمان المختلفة وتقدم الأنسان فى المدنيّة والحضارة .. وأرتفاع مستوى معيشة أكثر وأكثر وتقدم مداركه العقلية وملكات الفهم لديه .. كان لابد له من عبادة آله قوى يركن إليه ويسترضيه .. وعندما نغوص فى التاريخ القديم " لمصر الفرعونية ": نجد عبادة



الآلـهة المتعددة .. فى أشكال الحيوانات المختلفة مثل عجل أبيس ، بن آوى والصقر ، والقردة وعبادته للشمس في شكل الآله (حورس) الذى كان يهبهم النور والدفء وكل مقومات الحياة .

ورأينا كيف أهتدى الملك الفرعون « اخناتون » الى الخالق الأعظم وكيف كان يناجيه في السماء ويقول عنه (أيها الآله الواحد ، الذى لا إله سواه) وأيضا فى ترانيمه للخالق الأوحد حيث يقول : ـ

(أنت خلقت الأرض حسب مسرتك ، لكى ترى عيناك كل ماصنعت يداك .. لأنك أنت المصدر للحياة .. وجميع الناس بك يحيون ..!) . وقد كانت هذه ترانيم كهنة معبد أخناتون العظيم .

والعجيب أن المصريين القدماء.. أهتدو بغريزتهم وصفائهم الروحى ونقاءهم النفسى .. إلى الحياة .. فى الآخرة .. وتخيلوا الحساب هناك وكيف يتم محاسبة روح الأنسان على أعماله .. وكيف توزن الأعمال بالعدل والقسطاس .. والجنة والنار .. والنعيم .. والجحيم ..!

وبانتقالنا لملكة فارس القديمة ومعايشتنا للديانات القديمة هناك مع الفرس ودياناتهم المتعددة حيث نجد الزرادشتية والتى تقوم (على وحدانية الله ـ وتعدد الآلهة ، وان هذا الاله هو خالق الكون وسند الخير والبر ، والفلاح » وأطلقوا على الاله الخالق الأعظم اسم « أهورامزدا ») .

وحينما نذهب لليونان وبلاد الأغريق القديمة .. نرى كيف انهم هناك اهتدوا إلى الآله الأكبر .. فى اسطورتهم الشعرية الشهيرة (الالياذة والاوديسا) حيث يطلقون على ملك الجو وصانع الأمطار (الآله زيوس) وهو نفسه عند الرومان المسمى (جوبيتر) أكبر الآلهة وأجلها شأنا .

وقد أطلق فيلسوف الأغريق العظيم ـ لنفسه العنان فى التأمل

والتدبر ليسمو بنفسه فيصف الله تبارك وتعالى فيقول عنه (« أن الله هو " الخير الأسمى " ولم يجد فى مطارحاته الفلسفية ضرورة لآلهة اليونان التقليدية ـ ولكنه فى تفكيره عن الكائن الأسمى "جعل هو الله" المحّرك الأول » ـ أى محرك كل الأجسام فى السماء والأرض ، يجذبها إلى نفسه وهو ثابت لايتحرك ..!)

ونترك اليونان وبلاد الأغريق .. والحضارة الرومانية أيضاً لنتجه الى الشرق البعيد .. الشرق الأقصى حيث البلاد التى لاتغرب عنها الشمس (اليابان) لنجد فى "الديانة الشنتوية " لليابان ـ وفي مراحلها الأولى كانت نوعا من عبادة الأزواج ثم انتقلت الى تقديس الطبيعة لما فيها من قوى خارقة لايعرف ـ مصدرها ويخشى بأسها ، وتوقيرهم للآلهة التى تحكم الطبيعة كالشمس ويسمونها (أما تراسوا) وآلهة الأرز وآلّهة السماء .. ويطلقون عليها اسم (كامى ـ Kami) .

وهم يفسرونها ببساطة فى قول موجز : (انهم لايفهمونها ولكنهم يدركون كنيتها ويحسونها فى أعماق الوجدان .. وتتصل بهم اتصالا مباشراً دون أن يعرفوا ماهو الكامى) وكل مايفعلونه انهم يتضرعّون إليه فى صلاتهم بالترانيم الهادئة فى حزن وخشوع فيقولون :

* أولا وقبل كل شئ .. هناك فى حقلك المقدس أيها الآله المهيمن ..

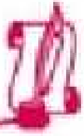
* ليت حبة الأرز الأخيرة التى سيحصدونها .. ؟

* ليت الحبة الأخيرة من الأرز التى ستحصد .. ؟

* بحبات العرق المتساقط من سواعدهم ..

* وتشدّ مع الوحل العالق بالفخذين .. ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك أنت ؟

* وتتفتح سنابل الأرز التى تتوق إليها الأيدى الكثيرة ..!



* فيكون أول الثمرات فى الشراب .. وأعواد النبات ..)

ثم اتجهنا الي كوريا .. حيث العبادات القديمة ديانات ماقبل التاريخ .. فنجد "الديانة الشامانية " فى قول بسيط موجز يشمل كل شئ حيث يقول المؤمنون منهم والذين يقدسون الطبيعة (أننى أري الله فى داخلى) .. واعتقادهم فى تناسخ الأرواح ومحاولة استرضائها بتقديم القرابين من الفاكهة والشراب .

كما يؤمنون بسكنى الروح فى أجسادهم .. كيفية إخراجها من أجساد البشر بالصلاة والترنيمات والأدعية الخاصة لها وترضيتها بتقديم الفاكهة وأطايب الطعام .. ويؤمنون بالاتصال بالقوى الخارقة للطبيعة .

ونستكمل جولتنا ـ لنصل إلى بلاد الصين العظيمة ذات الحضارات القديمة .. فنجد أن الديانة الرسمية من قديم الزمان هي "الكونفوشيوسية " ثم " التاوية " فالبوذية .. وقد سبقت الديانة البوذية من الهند ـ قارة الأعاجيب والغرائب .

وفى ترانيم أسرة (تشو) القديمة قبل ظهور الديانات نجدهم يناجون الربّ الذى أطلقوا عليه لفظ (ون ـ Wen) ويتضرعّون اليه في صلواتهم عند تقديم القرابين فيقولون : ـ جليل ولاحّد لجلاله .. هو تكليف السماء ..

* فضيلتك أيها الملك الشهير (ون) تهبط لتغمر بالبركة ..!

* فليحفظها من يأتون بعدنا ..

* اننا نأتى بتواضع نقدم مالدينا من قرابين ..!

* ونحافظ على طريقنا المستقيم .

* وينبغى علينا لكى نجلب السلام إلى الأرض .

* أن نطيع أوامر الملك (ون ـ Wen) .

وفى الديانة الكونفوشيوسية ـ يطلق على الملك لفظ (تشانج تى) ومعناها فى اللغة الصينية (الله فى الآعالى) ويسمونه (الموجود الآسمى) ويقوم مذهبهم على حب الناس وحسن معاملتهم فى الحديث والأدب فى الخطاب ونظافة اليد واللسان .. واحترام الأكبر سناً والأكبر مقاما مع طاعة الصغير للكبير .. والمرأة لزوجها .. "

وأهم مبادئ الديانة الكونفوشيوسية سطر واحد يقول :" أحب لّغيرك ماتحبه لنفسك " .

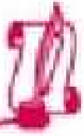
وعند هبوطنا فى آخر محطة لنا عزيزى القارئ ـ فى القارة الهندية .. العريقة بحضاراتها .. الغامضة .. المتّعددة اللغات والديانات .. نجد أن أهم الديانات بها هى " الديانة البوذية " والتى تقول : (أن الحياة فى أعماقها تعيسة ، وأن سبب هذه التعاسة أنانيّة الانسان وشهوته) (أن الانسان يمكنه القضاء على شهوته وأنانيته عندما يصل إلى حالة " النرفانا " ـ أى انعدام كل شئ فى الأعماق) .

ونجد تقديم الأضاحى للآلهة في الديانة الهندوسية ـ كنوع من التكفير والترضية ويطلق عليه (ياجورافيدا) ومعناها : " الفيدا الهوائية أو المنسوبة للهواء " .

وعبادة البراهمان "ـ الذى هو (روح العالم) وتضرعهّم فى صلواتهم حيث يقولون فى ترانيمهم : (فلنفكر فى روعة وجلال .. الآله سافترى ..

* حتى يلهم عقولنا ..!

لقد تعرضنّا فى عجالة سريعة لديانات الشرق القديم وممالك بابل وفارس .. والصين والهند .. ورأينا كيف أن كل الأديان القديمة ذات القيم والتقاليد والطقوس الدينية ـ كلها تدعو للجوء للخالق العظيم ..



الذى خلق الكون بسماواته وأراضيه .. وبحاره الواسعة ومحيطاته الشديدة العمق ..!

وأنه رغم اختلاف الأسماء التى تطلق على الآلهة فى كل مكان من البلدان والممالك .. الاّ اننا نجد أن الوظائف والصفات .. تكاد تكون واحدة .. !

وكيف أنه حتى فى الحضارات القديمة ذات التاريخ القديم مثل حضارة الصين العظيمة وحضارة بلاد الهند ودياناتها القديمة والعديدة .. نجد الإشارة واضحة.. لوجود الخالق .. العلّى .. الذى يسكن السماوات العلا.. ويرقب مخلوقاته .. من فوق.. فى سموٌ وحنوٌ وعطف.. تاركاً من يخطئ من عباده .. يخطئ دون عقاب فورىٍ ، ومن يسفك الدماء ويفسد فى الأرض .. يظل على فساده .. سالما ولايحاسبه فى التوٌ واللحظة .. فى الأرض ، بل يتركه حتى تصعد روحه إلى السماء لتحاسب ..!

ويتركه أيضا ليعمر فى الأرض .. لعل وعسى .. أن تتوب نفسه .. اللّوامه وتعود إلى رشدها .. والى خالقها .. فتتوب .. رافعة أكف الضراعة والندم .. على أمل التوبة الخالصة ..



الفهرس